

RÉDACTION ET ADMINISTRATION : Rue Jules-Poivre
RABAT
PUBLICITÉ : Agence de Casablanca - G. BECKER
137, Avenue Mers Sultan — Téléphone : 03-70

الادارة والتحرير: نهج جول بوافر بالرباط
الاعلانات : فرع الدار البيضاء ج. بيكير
137 شارع مرس سلطان ـ تلفون 70-03

احموا ثروتكم من السرقة والحريق واقتنوا

صناديق « فيشي » الحديدية

FICHET DE PARIS

اعلى نوع في العالم

الوكالة المغربية: 16 ساحة كَينيار بالدار البيضاء التلفون 01-26

يوجد لديه عدد كبير للاختيار ـ انواع ابتداء من 500 فرنك

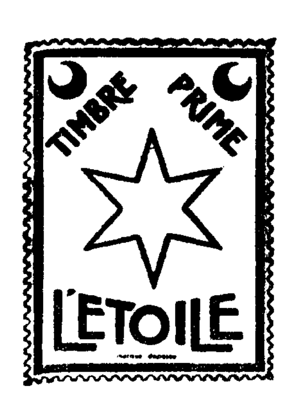
الوكيل بالرباط: المسيو طيّب بشارع كَاليني

اطلبوا كلما تشترون شيئاً

التنابر الزرقاء

تنابر

النجمة



خبر سار!

ماء ولماس

عين بدة

ملك الحكومة المغربية

سيباع في سائر المستودعات بالمغرب



الردومة	**1,60**	ويزاد 35 سنتيم ضمانة في ترجيع الزجاجة
الربع	**1,10**	ويزاد 20 سنتيم للزجاجة

وعين بدة هي العين الوحيدة المستعملة الآن بالمغرب

شيتة « جيبس » للاسنان

ماركة « اوتوماتيك » مصفاة من سائر الجراثيم ومربوطة ربطاً وثيقاً بالفولاذ



واياكم ان تقبلوا شيتة لا تكون مضمونة او تشتروا الشيتات المبعثرة في الدكاكين فان استعمالها قد يكون فيه خطر على حياتكم

انتزيت

مشروب نافع للصحة ـ معين على الهضم

يبرد غلة العطش كيفما كانت ــ ليس فيه كحول

يباع في الصيدليات وحوانيت الماكولات وما اشبهها في زجاجات تعمل الواحدة منها عند خلطها بالماء من ٣٠ الى ٧٥ ليتر

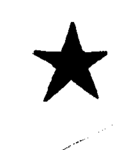
محل البيع بالجملة بهذا العنوان:

PERROT — ANTESITE — VOIRON (France)

ووكيل الدار بالمغرب م. تورنيي نائب انتزيت

صندوق البريد عدد ٢٠١ ــ بالدار البيضاء

محرم الحرام ١٣٥٤ — السنة الرابعة — Quatrième Année — Avril 1935




تثقيفية عمرانية أدبية — MAJALLAT EL MAGHRIB — مديرها : محمد الصالح ميسة

المؤسسات الخيرية

مراكش — تأسست بهاته المدينة جمعية خيرية وشرعت حيناً في القيام بمهمتها المبرورة ، فنشكر لمراكش ورجال الجمعية الافاضل ولجناب رئيس البلدية ذلك ونتمنى لهم تمام النجاح .

***

آسفي — وتأسست جمعية بآسفي ، وافتتح اكتتاب عام تبرع فيه ممن تبرع السادة الافاضل : الحاج عبد السلام أبن عمر ٣٠٠٠ فرنكا ، الحاج محمد عبيد ٢٠٠٠ ف ، الطيب الحكيم ١٠٠٠ ف ، محمد الازموري ١٠٠٠ ف ، احمد بن الجيلاني الشيظمي ٧٥٠ ف ، الحاج الطاهر بن العلام ٥٠٠ ف ، أحمد بن حيدة ٢٠٠ ف ، محمد علان ٢٥٠ ف ، محمد الاعبادي ٢٠٠ ف ، عبد الرحمن الهواري ٢٠٠ ف ، محمد التريكي ٢٠٠ ف ، الغالي بن هيمة ٢٠٠ ف ، الحاج عبد السلام بنونة ٢٠٠ ف ، محمد كوار ٣٠٠ ف ، محمد العبادي ٣٠٠ ف واشترك بأداء مائة فرنك في السنة ، الحاج عبد الله الوزاني ٥٠٠ ف ، عبد الرحمن الوزاني ٥٠٠ ف ، عبد الكبير بن الحاج المختار بدفع دار للجمعية يقدر كراؤها بمائتي فرنك شهريا ، محمد بن الحاج صالح اخزام بكراء حانوت لمدة خمس سنين ، محمد البوسيني ٢٥٠ ف ، أحمد بن عيسي الحريزي ١٠٠ ف ، محمد الزموري بأداء ١٠٠ ف سنويا ، وم. م. مسك ٥٠٠ ف ، ولكران ٥٠٠ ف ، وكلوم ٥٠٠ ف ، ودابر ٣٠٠ وبزنار ٥٠٠ ف واشترك بأداء ٥٠٠ ف سنويا ، واشترك نحو مائتين وخمسين من الناس بأداء ٢٠ فرنك في كل سنة الخ ، وينتظر أن يتحصل من ضريبة اللحم نحو ١٢٥٠٠٠ فرنكاً سنوياً ، وقد دشنت الجمعية ملجأها بحضور الولات والاعيان ، وبهاته المناسبة رجى رئيس الجمعية وأعضاءها من جناب رئيس الناحية أن يطلب من الدوائر العليا « منح الجمعية قدراً وافراً من المال أكثر من المبلغ الذي عين من الخزينة ومن صندوق الاحباس سنوياً ، لان آسفي قد صار يعد من المراسي الكبيرة بالايالة الشريفة وقد ادرك ذلك بموقعه الطبيعي وقربه من عاصمة الجنوب وأهمية فلاحته وغزارة معدنه الفسفاطي وجناته المتنوعة الكثيرة ومعامله الهائلة ووسقها للخارج وذلك هو الذي أوجب التعجيل بأمداد سكته الحديدية وميناه العظيم كذلك أوجب أن يكون له ملجأ خيري إسلامي يناسب أهميته وذلك لا يمكن إلا بمساعدة المخزن وجانب الاحباس لان ما يدخل من أداء اللحم وتبرعات المحسنين لا يكفي ولأن

مرسى آسفي سائرة في النمو والعمران ، يجب أن يكون ملجأها عظيماً حاوياً لجميع المشروعات والاسعافات الخيرية وكذلك نطلب أحداث مركز لنقطة الحليب بآسفي كما في جل مدن الايالة لما في إحداثها من المصلحة العامة إذ كثيراً ما يموت الصبيان الصغار من تناول الحليب العادي وباحداث المركز المذكور يمكن للجمعية الخيرية أن تقوت به صبيان الملجأ ومرضاه المكفولين برعايتها داخل الملجأ وخارجه اويمكن أيضاً للاغنياء الاهالي أن يقتصروا على اقتنائه تغذية صبيانهم ومرضاهم . »

***

الرباط — كنا أشرنا إلى اجتماع الجمعية الخيرية السنوي ، وبهذه المناسبة قدم الكاتب العام بياناً مفصلاً عن أعمالها في السنة الفارطة والجمعية في نمو ورقي وازدياد متقدمة الى الامام بخطى واسعة وسرعة مدهشة قربتها من هدفها الذي ترمي اليه وتسعى بجهود متواصلة لتحقيقه « في جو هادئ وعمل صامت منتج » فالجمعية الخيرية « قامت في السنة الماضية بخدمات جلى للفقراء والمساكين والبر بالبائسين والرعاية الرحيمة للمعوزين والتعهد الدائم لابناء البيوتات الذين عضهم الدهر بنابه وأنزلهم الزمان على حكمه ومن أجل أعمالها فتحها لملجإ الايتام الذي كانت منذ تاسيسها تنشده وتسعى اليه لتلافي حالة يتامى المسلمين وابناء الفقراء من الاهمال والتشرد والتسول بالطرقات في وسخ عراة يسيرون في حياة عرجاء تسير بهم الى ارتكاب الاجرام والتلبس بما لا تحمد عقباه فقامت بهذا المشروع الخيري الكبير أحسن قيام بإيواء سبعين تلميذاً على قدر ما تحمل ميزانيتها الآن وتثقيفهم وتهذيبهم وتعليمهم امور دينهم ودنياهم مما برهنت به على ما للرباطيين من الشعور الانساني نحو الضائعين والعاجزين من أبناء شعبنا واكتسبت بذلك قوة تضمن لها النجاح والمضي في تقدمها المطرد وكانت أعمالها والحمد لله أول وأحسن مثال لغيرها من الجمعيات الخيرية المغربية التي برزت في هذه المدة في جهات المملكة والكل يشاهد تلاميذ الملجإ يمرون لمدارسهم صباح مساء في حالة حسنة مرضية تسر كل مسلم غيور كما يشاهد داخل ملجإهم وما هو عليه من الترتيب وحسن النظام في فرشهم ولباسهم وأكلهم وقد احتفل يوم عيد جلوس الجلالة الشريفة أيده الله على عرش اسلافه الكرام وقامت الجمعية في ذلك اليوم بتوزيع عدد من الكساوي والنقود على المحتاجين من الاهالي ابتهاجاً بذلك اليوم العظيم أعاد الله أمثال أمثاله على مولانا المنصور بالله وأدام عزه وخلد ملكه وقد زاره في ذلك اليوم الولات وعدد كبير من الاهالي والذوات كما زارته مراراً منذ تأسيسه صاحبة الايادي البيضاء عقيلة سعادة السفير المقيم العام المحسنة الكبيرة مدام بونسو وسرها جداً ما شاهدته به ونوهت بنظامه غاية التنويه وقالت انها كلما زارته تجده ينتقل من حسن إلى أحسن ومدت يد المساعدة اليه بل بلغنا انها حضت غيره من ملاجئ الايالة الشريفة على الاقتداء به والتمشي على منواله ولها اهتمام كبير بشأنه ، ومما قامت به الجمعية أيضاً فتح ملجإ موقت لمدة من شهرين زيادة على ملجإها القديم جمعت فيه عدداً من المتشردين . »

ومن بين مواد الداخل ٢١٤١٩٠ فرنك من المجزرة و ٣٥٠٠٠ ف أعانة من الحكومة و ٥٠٠٠ ف من الاحباس ومن بين التبرعات ١٠٠٠٠ ف من مدام بونصو في دفعتين ومن الخارج زيادة على ملجإ العجزة ، مشاهرة العائلات وعددهم ٨٣ ما قدره ٧١٣٦٥ ف ، وفي ملجإ اليتامى ما يزيد على ٨٠٠٠٠ ف ، وفي اعانة العائلات في الاعياد الاربعة (الفطر والاضحى والمولد وعيد العرش)

وعددهم نحو ١٢٠٠ ما قدره ٦٧٥٠٠ ف ، ومجموع الصائر ٣٦٥٨٦٣ ف و ٦٠ ص ، ومجموع الداخل ٢٨٣٣٤٩ ف و ١٥ ص ويكون المدرك على الداخل ٨٢٥١٤ ف ٤٥ ص وقد اضطرت الجمعية لسد العوز بتغطيته من الاحتياطي المدخر «الذي هو بمثابة القوة للجمعية تلجأ اليه في أوقات الشدة» فكان بالصندوق المدخر ٢٨٠٩٩٠ ف و ٧٥ ص فاذا اسقط منه مدرك سنة ١٩٣٤ فيكون الباقي في الصندوق ١٩٨٤٧٦ ف و ٥٠ ص .

⁂

مكناس — عقدت الجمعية الخيرية في ٢٠ فبراير جلسة عامة لتجديد انتخاب هيأتها الادارية وعرض اعمالها عن السنة الفارطة ويستفاد من التقرير الذي قدمه الكاتب العام في ذلك ان المداخيل كان من جملتها ضريبة اللحم وتحصل منها ١٨٣٤١٠ ف واعانات من الحماية قدرها ٨٥٠٠٠ فرنكا واخرى من البلدية قدرها ٣٠٠٠٠ ف وتحصل من اعانة الاحباس عما تحملت به الجمعية من المشاريع الاحمدية عن الثمانية اشهر الاخيرة من السنة ٥٦٦٦٦ ف وغير ذلك ، والمجموع ٤٣٤٩٠٢ فرنك وبلغت جملة المصاريف ٣٨٨٩٨٩ فرنكا ومن المصاريف زيادة على مهمة الجمعية الاصلية من القيام بالضعفاء ما أغدقته الجمعية الاصلية في عيد العرش من العطايا على المساكين «وبالاخص تلاميذ المدارس القرآنية وتلاميذ المدرسة الصناعية والطلبة المعلمين وكان من جملة الموزع فيه ما تجاوز ١١٠٠ جلابة مع ثلاثين الف فرنك نقداً زيادة على ما وزع فيه من القمص والبداعي وأيضاً ما يوزع من اعانات في المواسم والاعياد وبلغ ما وزع في عيد الفطر خمسون الف فرنك. وتقيم الجمعية بالضريح الاسماعيلي المقدس موسماً سنوياً لاختتان ابناء الفقراء وقد ظهر لهذا الموسم اثر بين في القيام بهذه الخصلة الحميدة وتعميمها بين كافة الناس حيث تبين من بعض الافراد المختتنين الذين تجاوزوا سن الاختتان بكثير ان هناك من شذ على هذه العادة اما بسبب الرهبة أو عدم المساعدة ويظهر أيضاً ذلك من تفوق الاقبال بهذه السنة على سابقتها اذ ناهز عدد المختتنين الخمسمائة نال كل واحد منهم كسوة مع اقراص من الحلوى للتسلية» ويزاد الى اعمال الجمعية مركز نقطة الحليب الاسلامية وقد وزع فيه ٩٨٥٩٦ من مصاصات الالبان الى غير ذلك جزى الله العاملين خير الجزاء .

⁂

سلا — يستفاد من اجتماع عقدته اللجنة الخيرية الاسلامية لضريح سيدي ابن عاشر انه «حيث وقع تنفيذ ما ينوب اللجنة الخيرية من رسم الذبائح التي يستهلكها السكان بالمدينة وقدر ما يتحصل منها بستين الف فرنك فبذلك تحسنت ميزانية الجمعية» ومن مداخيل الجمعية المنفذ من جانب الاحباس وقدره ١٣٠٠٠ ف والمنفذ من الصندوق البلدي ١٢٠٠٠ فرنكا ومثله من الاقامة «ومن الخرج ٣٣٨٠٠ لمونة الضعفاء القاطنين بالملجإ وكسوتهم و ٢٠،٠٠٠ فرنكا لمونة الضعفاء الافاقيين عن ثلاثة اشهر وكسوتهم وفرشهم وفي واجب الخبز الذي يوزع يومياً على ضعفاء المدينة ٩٠٠٠ فرنك وفي الاعانة التي توزع على العائلات بمناسبة الاعياد ٣٠٠٠٠ فرنك الخ . حسبما يستنتج من بيان الميزانية لسنة ١٣٣٥ ، وننتهز الفرصة لننبه الى ان مدينة سلا في حاجة الى اعانة اكثر من الحكومة وفي الاقل الى مساعدة الدوائر المحيطة بها كدائرة زعير والسهول مراعاة لموقعها ، ولا نشك في ان اعضاء اللجنة وعلى رأسهم سيادة الباشا وجناب المراقب الذين يقدر الكل حزمهما وسهرهما على مصالح المدينة يبذلان الجهد لدى الدوائر التي لها النظر للحصول على ذلك .

❊❊❊

الصويرة — يستفاد من بيان جمعية هاته المدينة انه بفضل ما قامت به الجمعية «انقطع التسول بالمدينة ولم يبق احد ينام بابواب الاضرحة »، وقد جمعت الى الآن من الايتام اكثر من العشرين وهم يتعلمون بالمدرسة العربية الفرنساوية وخصصت لهم محلا بملجإها » ومن مداخيل السنة الفارطه ١٥٣١٤ فرنكا من التبرعات و ٥٠٠٠ ف اعانة من الاحباس و ١٠٠٠٠ف اعانة البلدية و ١٢٠٠٠ اعانة الحكومة و ٧٠٧٥٢ ف من المجزرة والخارج مجموعه ٧٩٨٧٩ فرنكا ، ويستنتج من الميزانية المقررة لسنة ١٣٣٥ ان الجمعية قررت اعانة لضعفاء البادية ٥٠٠٠ ف وبناء جديداً ٣٧٠٠٠ ف وزيادة اكثر من ثلاثين الف فرنك للماكولات ومقابل هذا نرى البلدية حطت اعانتها الى ٥٠٠٠ ف والحال ان الامر يقتضي الزيادة في هاته الاعانة وغيرها من الاعانات ولربما لم يخف هذا على رئيس الجمعية الباشا النبيل السيد محمد المجبود وجناب رئيس البلدية فنرجو من فضلهما ان يتلافيا ذلك بما نعلم لهما من حزم وعزم.

⁂

ابن احمد — شرعت الحكومة في بناء ملجا للعاجزين المسنين بهاته القرية ، وهو مفتوح للضعفاء العاجزين الذين ترسلهم اليه الجمعيات الخيرية من كل مدينة .

⁂

مولاي ادريس — لازالت لم تؤسس الى الآن جمعية خيرية بهاته المدينة .

⁂

اللجنة المركزية — يتحصل مما نشرناه في هذا العدد وفي الاعداد قبله عن اخبار الجمعيات الخيرية ان بالمغرب حركة اسعافية واسعة النطاق يرجع الفضل فيها للامة والحكومة معاً ، وهاته الحركة تؤدي الى ملاحظات قد يكون في اعادة ذكرها فائدة ، فانا نقلنا ارقاماً كثيرة ونقلنا بعضها دون بعض قصداً ، ويرى منها ان اكبر مورد للاحسان صار الآن من المجزرات وصدر القرار بتوظيف اداء على اللحم بطلب منا ، فهذا الاداء في الحقيقة ضريبة رسمية لازمة كغيرها من الضرائب الرسمية وقد تقبلها المغاربة الكرام بصدور رحبة بل بكثير من الشكر والامتنان ، وبذلك قاموا في الحقيقة بشيء هو من واجب الميزانية العامة التي لا تشاء الطبقات الأُخرى ان تشفق عليها مرة ، فلا بدع اذا رجونا اليوم من الحكومة ان تعين الجمعيات الخيرية في الاقل بمثل ما يتحصل لديها من هاته الضريبة ، ثم ان جمعيات المدن تقوم بفقراء البادية الذين يتكوّن منهم جل الآوين في ملاجئها ، ومن واجب عمالات البادية ان تعين جمعيات المدن من ميزانيتها التي يرجع اليها في الحقيقة القيام بالفقراء المذكورين كما أنه من الضروري ان تؤسس في البوادي ملاجئ خيرية كافية، وكذلك هناك شركات ومصالح بالمغرب يتعين عليها ان تعين الحركة الخيرية ولا نراها تهتم لهذا الواجب مرة ، فالبنك المخزني مثلا لم تتوصل منه المؤسسات الاسعافية بفلس واحد الى اليوم ، وشركة الضوء والماء التي يعرف القراء استبدادها الذي لا حد له لم تنبه الى الآن الى تخصيص قدر من ارباحها الى اغاثة الضعفاء ، وهناك واجب الضعفاء في دخل المسارح ودور اللهو فانا نرى البلديات تخص بها جمعيات دون اخرى ، وأيضاً مسألة موظفي البلديات فقد بلغنا عنهم ان بعضهم يتقاضى مرتبات لا تناسب ميزانية المشروعات الخيرية ، وهذا كله وغير هذا من المسائل يستلزم تنظيم الاحسان وانشاء مؤسسة مركزية تكون بالعاصمة تحت نظر جلالة السلطان وفخامة المقيم العام تقوم بشئون الخيريات على النمط الذي بسطناه مرارا ، ولنا الامل ـ وحالة الفلاحة في هاته السنة تؤيد بنوع خاص ما كتبناه ـ ان تبادر الحكومة بتلبية هذا الطلب المعقول .

حول نشأة الادب العربي بالمغرب

قرأت في «مجلة المغرب» الغراء عدد رمضان وعدد شوال وذي القعدة من سنة ١٣٥٣ هـ. مقالين في «نشأة الادب العربي بالمغرب» وقد أبدى صاحب المقالين نظريات في تاريخ المغرب أقامت عليه ضجة عنيفة في الاوساط العلمية وغير العلمية بالمغرب وبالاخص بفاس وقد أدت هذه الضجة الى طلب محاكمته بصفة جنائية ، وأرى أن نظريات هذا الكاتب لا تستوجب هذه الاهمية وخطأه لا يستوجب هذا العقاب وانما الرجل تلميذ مبتدئ في فن التاريخ أخطأ في تطبيق دروسه التاريخية ولم يستفد من فلسفة التاريخ التي هي من برنامج القرويين فيلزم تعليمه وارشاده بما يرشد به التلميذ في الكتاب حيث انه قصر في مراجعة المواد وتجاسر على التفلسف والاستنتاج قبل اتقان الجزئيات ، وأيضاً يجب التنبيه ليرتفع الاشكال.

وليس هذا البحث بطريف في بابه بل هو موضوع طرق قبل وحرر المناط فيه وقد رأينا في هذه المجلة نفسها «مجلة المغرب» ذيل عدد ٩ لمحرم سنة ١٣٥٢ وعدد ١١ لربيع الاول سنة ١٣٥٢ بحثاً في هذا الموضوع حاضر به صاحبه (١) في مؤتمر المستشرقين المنعقد بفاس اذ ذاك في جلسة عمومية لا شك ان صاحب «نشأة الادب» حضرها ، وها أنا ذا اعتمد من بين المصادر في هذه المناقشة تحريرات تلك المحاضرة التي جمعت اطراف هذا الحديث .

قال الباحث الذي نناقشه في المقال الاول : « ان سليمان بن جرير الذي أرسله الخليفة الماكر الرشيد كان رجلاً بارعاً في المجادلة ذا نبل وأدب وفصاحة ... كان يجلس مع المولى ادريس ... ويضع احاديث كثيرة في الحط من قدر غير العلويين ويأتي بتفاسير من عنديته يثبت فيها خلافة المولى ادريس وتفوق الشرفاء على جميع الخليقة الخ » فأقول منبهاً له تنبيهاً متواضعاً : ان هذه دعوى تحتاج الى دليل وقد كان المولى ادريس أعلى همة وأسمى قدراً من ان يواطئ سليمان على الكذب على رسول الله وفي دين الله ومن أقر الكاذب فهو شريكه وكانت الخلافة ممهدة له من قبل من نصروه وعززوه وقبل مجيء سليمان ولولا ذلك ما احتاج سليمان الى تجشم الرحلة اليه ولا وجهه الرشيد فلا حاجة لادريس رضي الله عنه الى الالتجاء الى الكذب والبهتان وأخلاقه العالية وعلمه وفضائله المقررة في التاريخ تأبى ذلك فان كان هذا الادعاء منصوصاً عليه بسند صحيح ورواة ثقات فليدل لنا صاحب البحث عليه ببينة وان كان من عنديته فهو خطأ صراح وفكر مستبشع مناقض للامانة ولا يسوغ للمولى ادريس استماع الاحاديث الكاذبة في سبيل غرض سافل وقد جاء يؤيد دين جده الصحيح وهو عمدته فيما يرومه وهو بالمثابة التي ذكر له الباحث نفسه حيث يقول : « شب المولى ادريس في بلدة نشأ فيها مثل الامام مالك وشيخه الاوزاعي وغيرهما من العلماء المجتهدين ... فأخرج في قالب فقيه ديني شديد الشكيمة ولغوي جيد قاهر الدليل يفهم الحديث كما يفهمه غيره من العلماء ويفسره كما يفسرونه ويستنتج كما يستنتجون ... » وكان راشد وزيره وناشر دعايته كما وصفه الباحث نفسه : «ممن يجالسون العلماء والاشراف والامراء وكان آخذاً حظاً من الثقافة العربية لذلك العهد فقد قالوا انه كان مستولياً على العلوم العقلية والنقلية وآخذاً حظه من الادب والنحو واللغة والحديث والتفسير » ونتبه الباحث الى ان الاوزاعي لم يكن شيخ مالك ولا من أهل المدينة بل هو شامي .

وقد اغرق الباحث في المقال الثاني حيث اراد التفلسف في قضايا التاريخ وضم الجزئيات بعضها الى بعض ليخرج من ذلك قواعد لنشأة الادب العربي بالمغرب .

قال الباحث : « فان الادب لم يكن له حظ في قيام هذه الدولة كما لم يكن عند أولاد ادريس بعده واحفاده ودولة بني أبي العافية المتوحشة بمكانة .. أضف الى ذلك ان الامم البربرية اذ ذاك لم تكن تعرف العربية حتى تستمع لاقوال الشعراء ... نستخلص من هذا ان المائتي سنة اللتين قضاهما الادريسيون في دولتهم لم تجل فيها الناحيه العلمية في شيء ولم ترتكز اساليب الدولة الادريسية فيها على العلم والادب ... ونحن نستنتج من هذا ان الدولة الادريسية لم تكن دولة علم بالمرة ولم تكن تعرف ان للخلافة رابطة وثيقة بالعلم وان كانت دولة تريد ان تحكم المغرب حكما جافاً لا شخصية للعلم فيه وعلى هذا فهي دولة بربرية باعتبار نشأتها »

هذا ما ارتآه الباحث في المقال الاول وأخذ يفصله في المقال الثاني من كون العروبة لم يكن لها أثر بين البربر ومن كون المغرب

(١) هذه المحاضرة هي لاستاذ هذا الشأن معالي الوزير الحجوي .

لم يعرف علماً ولا أدباً قبل الادارسة ومدة دولهم وبعدها ولم يتنبّه الى ان ذلك يناقض ما قدمه نقلاً عن القرطاس واستنتاجاً منه من كون المولى ادريس الثاني وفد عليه مآت من فرسان العرب وعلمائهم « وتقاطرت عليه الوفود من جميع الاصقاع منهم علماء وفقهاء ومنهم ومنهم » وزاد في المقال الثاني بياناً عن كون المغرب بقي يتخبط في الجهل والبربرية الى أمد بعيد بعد ذلك .

فليعلم حضرة الباحث ان المغرب فتح سنة ٦٠ وشقه عقبة بن نافع الفهري من ادناه الى اقصاه لينشر الدين والتعاليم العربية ثم انتقض المغرب على العرب بعد وما لبثوا ان اعادوا فتحه وتدويخه سنة ٦٩ وأقبل حسان بن نعمان فاخضع العصاة ونشر الدين وجعل على المغرب قائده ادريس بن صالح بن منصور الانصاري العربي مؤسس دولة بني منصور بالريف التي كانت عاصمتها نكور هناك وتكونت قبل الادارسة ونشرت الدين والعربية ودامت دهراً هنالك بعدهم .

ثم جاء بعد حسان القائد موسى بن نصير سنة ٨٧ وزاد في نشر الدين والعربية حتى ادخل في حظيرة الاسلام والعروبة اصقاعاً شاسعة بالمغرب الاقصى وجعل مولاه طارقاً عليه وعاصمته طنجة ونظم طارق الجيش من العرب والبربر لغزو اروبا وجعل فيه من حملة القرآن ثلاثمائه لتعليم العربية والدين ولابد أن يكون قد رتب في بقية المغرب اكثر من ذلك وفي ذلك العهد اصطبغ المغرب بالصبغة العربية وتمكنت قدم العرب والعروبة بالمغرب وتقدم العرب والبربر جنباً لجنب لفتح الاندلس ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩ وجه عشرة من كبار علماء التابعين للمغرب يعلمون ويهذبون .

بقي العرب والبربر يمتزجان في المغرب والاندلس امتزاج ادب ونسب والعربية تتمكن من نفوس البربر يدفعها حب تزيي المغلوب بزي الغالب وحفظ القرآن الذي هو قوام الدين ودستور المجتمع وقانون الاحكام وقرب البربرية من العربية وضعف البربرية عن العربية في كونها اداة مفاهمة غير تامة ونقصانها في كثير من احوالها عن لغة العرب لغة العلم والدين والادب حتى قدم المولى ادريس سنة ١٧٠ ولم يدع احد انه كان يعرف البربرية ولا احتاج الى ترجمان ولا لاقى صعوبة في المفاهمة ولا ذكر لنا الباحث ان سليمان بن جرير احتاج الى ترجمان عند ما اراد « ان يضع الاحاديث لفائدة دعوة ادريس وجلب قلوب الناس بانواع البلاغة والفصاحة » .

والاصح ان راشداً مولى ادريس والذي جعله كثير من المؤرخين اخاه من الرضاع كان نفسه عربي اللسان حيث أنه على ثبوت كونه بربري الاصل فأبوه هو الذي كان من سبي البربر وراشد ولد في بيت الهاشميين في صميم العروبة لا يعرف البربرية معنى ولم نسمع بان عبد الرحمن الداخل لما قدم الاندلس على طريق المغرب قبل ادريس احتاج الى ترجمان أو لقي صعوبة في طريقه .

ثم ان المولى ادريس لما قدم المغرب بلغ الى طنجة فوجد أهلها خوارج ولم ير لنفسه هناك نجاحاً فانقلب الى وليلي وكان اهلها خوارج اباضية أو صفرية فعرف كيف يقلبهم عن مذهبهم الى مذهبه السني وحب آل البيت بما فطر عليه من قوة الحجة وسلامة الضمير وصدق النية وذلك كله يدل على ان البربر كانوا على اتصال دائم بالشرق مراقبين لسير مذاهبه وتقلب أفكاره ولا أرى لذلك اداة غير انتشار الثقافة العربية والقرآن بين البربر وهذه حجة تلزم الباحث نفسه حيث يقول : « اذا صح كلام ابن خلدون هذا في أهل سجلماسة فانه كان هناك بعض العلم وكان اهلها بحكم القائم بهم تشعر بعاطفة دينية فان الرجل الذي يسمى بامير المومنين ويتمذهب بمذهب الامام مالك يكون ولا بد عنده في دائرته وحاشيته من اهل العلم والمعرفة من يشدونه ويرشدونه » وكلام ابن خلدون هو هذا : « تقدم جوهر الصقلي الى سجلماسة وكان قد قام بها محمد ابن الفتح بن ميمون ... وكان قد ادعى الخلافة وتسمى بامير المومنين... وكان سنياً مالكي المذهب... » فاذا كان تمذهب شخص على حدته بمذهب هو دليل علمانية دولته فذلك احرى في حق امة بجميعها اذا اعتنقت مذهباً من المذاهب ومكانة المولى ادريس احرى بذلك بالنسبة الى دولته من الشاكر لله محمد بن الفتح .

يتبين لك ان الثقافة العربية واللغة العربية كانتا منتشرتين في المغرب قبل عهد الادارسة نعم ان للمولى ادريس فضل الزيادة في ذلك وتنمية غرسه ونشر مذهب السنة والجماعة بين اولئك الطوائف وبالطبع لا يتم عمله الا بنشر القرآن والتعاليم الدينية وقد جاء ابنه بعده وأراه لنا التاريخ ذا ثقافة عربية مكينة ولم نعرف له ترجاناً ولا عرّفنا التاريخ عنه انه كان يتكلم اللسان البربري لا هو

ولا دائرته وقد خطب خطبة العرش كأبيه بالعربية وخطبة تأسيس فاس بالعربية ونسب له قول الشعر وشعره في مخاطبة بهلول معروف حيث ان القضية واقعة حال ولو لم يكن الوسط عربياً ما كان ليخطب فيه بالعربية ولولا أنه كان مستعداً لقول الشعر لما نسب اليه الشعر ولو كذبا.

وما كانت الخطبة بالبربرية أو الكلام بالبربرية ليحط من قدر المولى ادريس فلو كانت حاجة الى ذلك لفعله او كان واقعاً لنص عليه المؤرخون وقبل هذه السنين الاخيرة لم يكن أثر للفرق بين العربي والبربري في بلاد المغرب وانما الكل قبائل مغربية يفرق بين العربي والبربري ما يفرق بين الجامعي والحياني فلم يكن المولى ادريس ليرى نقصاً في البربرية وكيف والبربر هم قوام ملكه وانما كلامه بالعربية كانت قررته الظروف المحيطة به.

ظهر من هذا ان الدولة الادريسية كانت عربية مغربية لا فرق بينها وبين اختها الدولة العلوية اليوم ابقاها الله كيف وفي عهدها اسست القرويين اقدم كلية في العالم وفي عهدها بنيت مساجد وشيدت قواعد للعروبة بهذه البلاد ثابتة وتلك هي حلقة من حلقات ماضي هذه الديار المجيدة التي يحق لنا ان نفخر بها.

هذا ولم تكن الدولة الادريسية لتضع أول نواة للعروبة بالمغرب أو أنها لم تجد للعروبة نفوذاً « حتى تصطبغ بالصبغة البربرية ليعلو نفوذها » كما يزعمه الباحث بل وجدت المغرب قد لبس حلة العروبة وتزيى بتقاليد العرب منذ أزيد من قرن وكانت فيه دول عربية كدولة بني منصور بالريف ودولة بني مدرار بسجلماسة وهؤلاء وان كانوا برابرة الاصل فقد كانوا من انصار العربية كما يسلمه الباحث فيما تقدم نقلا عن ابن خلدون وكذلك بنو عصام في سبتة وعندما أراد برغواطة المروق من الدين وافتعال قرآن يعارض القرآن العظيم لم يجدوا مندوحة عن العربية وفعلاً كان قرآنهم عربياً واداة تفاهمهم العربية والمولى ادريس نفسه لم يبايع الا لكونه جاء بدعوة عربية فكيف يميل عن العروبة الى البربرية وأحيل على المحاضرة التي اشرت اليها في معرفة تراجم بعض رجال هذا العصر واطوار الادب اذ ذاك.

أما قول الباحث: « ان المولى ادريس لم يكن في استطاعته أن يؤلف شعوب المغرب على رابطة صحيحة من العلم ولم يكن في امكانه ان يؤسس حتى المكاتب القرآنية للصبيان » فالبحث في عدم تاسيس المكاتب القرآنية على ذلك العهد من باب السماء فوقنا أو من سوء معرفة طرق البحث في التاريخ فهل يسوغ للباحث مثلاً ان يخبرنا ان دولة الادارسة لم تكن فيها سكة حديدية أو أن المولى ادريس لم يكن يتقن علم الكهرباء انما ذلك من العبث وسوء البحث فان المكاتب مما احدث بعد وانما كان القرآن يعلم في المساجد ولا زال بعض ذلك الى الآن وانما اصل الكتاتيب بيوت يخرجها الاغنياء من دورهم لقراءة اولادهم فاصبحت بعد عمومية ولا زال أثر ذلك ظاهراً بفاس الى الآن كذلك وكان يجب على الباحث التوقف في مثل هذا حتى يقف على نص.

وقد اسس المولى ادريس عند تأسيه لفاس مسجدين عظيمين وتزايدت المساجد بعد ذلك واقبلت عليه وفود المهاجرين من قرطبة لاسباب معلومة في التاريخ ومن القيروان وكانتا عاصمتي العلم ومهدي العروبة ببلاد المغرب وقد وفد من كلتا العاصمتين اقوام مثقفون معلمون لا يمكن وفودهم على بلاد قفر من العلم بربرية لا تحسن العربية ولا تقرأ القرآن ووفد على المولى ادريس كثير من قبائل العرب التي كانت متفرقة في بلاد المغرب حتى غصت مدينته بحاملي راية الثقافة العربية وكل اولئك لا تمكن حياتهم بدون وسط عربي قرآني فان لم يجدوه احدثوه هذا وقد كان القرآن وحفظه اسبق عند الامم الداخلة في الاسلام من انتشار العربية ولا زلنا نرى ذلك مشاهداً الى اليوم في تخوم السودان وآسيا فكيف بارض انتشرت فيها العربية على ما رأيت حتى عارض مارقوها القرآن وهم البرغواطيون.

كانت العربية والقرآن منتشرين بالمغرب وعلى الاقل بسهوله الواسعة وجهته الجنوبية وزاد انتشارهما اتساعاً على عهد الدولة العلمية الادريسية حتى أن الدول التي قامت بأثرها بالمغرب وكانت بربرية لم تر بدّاً من اتخاذ العربية لغة الدولة لتمكنها من النفوس وكونها اصبحت الاداة الوحيدة لتبادل الافكار وسير المعارف في البلاد هذا وكان من حق الباحث ان ينظر في سير اللغة والثقافة العربية بالمغرب قبل أن ينظر في نشأة الادب ومقدار الثروة الادبية وكان من حقه ان لايقدم على التفلسف في التاريخ حتى يعرف التاريخ ومن سكت عما لا يعلم فقد اصاب الحكمة.

واننا سنعود بعد الى مناقشة الباحث في مقاله الثالث وما فيه من تناقض وقد رأيناه آخراً ذكر المواد التي استقى منها ولم يذكر المحاضرة التي اشرنا اليها والتي حاضر بها صاحبها في مؤتمر المستشرقين بفاس بلد الباحث وطبعتها هاته المجلة في ذيلها وعلق عليها كثير من المجلات خارج المغرب .

وقبل أن أضع القلم أقول لصاحب مقال ناقش الباحث فيه وعنون عن نفسه بـ « ا غ » ونشرته المجلة مع المقال الثالث بعدد ذي الحجة انه أراد أن يشوي فرمد وانه زعم ان مدنية العرب لم تكن بمدنية الادب الذي هو مدنية كاذبة أقول له أن العرب كانوا أهل ادب وأي ادب بعد ادب العرب ومدنية العرب مدنية ادب واخلاق لا مادة وأي ادب بعد القرآن وجوامع كلم الرسول وشعر الجاهلية وشعر المخضرمين فمن بعدهم وخطب الصحابة واشعارهم وخطب المولى ادريس وشعر ابنائه هل نسي « ا غ » المعلقات واسواق العرب ودواوين الجاهلية وشعر حسان على المنبر بالمسجد النبوي وشعراء النبي صلى الله عليه وسلم وشعراء الصحابة واجازة النبي على الشعر ومحاكمة الشعراء لدى عمر بن الخطاب والادب على عهد بني امية والادب على عهد بني العباس أما المبدأ الذي جعله « ا غ » للادب العربي وهو عصر المعتصم فهو مبدأ انحطاطه وقد جمع جابي زادة علي فهم شعراء الصحابة في جزء وبلغ عددهم نحو الستين ممن وصلت اليه يده وقد جمعت لهم دواوين عديدة وجمعت مطارحات جرير والفرزدق فقط في اجزاء والادب في القرون الاولى في الاسلام بحر لا ساحل له وقد بلغ اذ ذاك عدد العلماء والفلاسفة واقطاب الحضارة العلمانية عدداً يقف عنده الحد .

محمد المهدي الحجوي

⁂

ردود — بلغنا رد آخر في موضوع « نشأة الادب العربي بالمغرب » ليس فيه زائد عما تناوله المقال اعلاه ، فلا نرى فائدة في نشر الرد المذكور ، ونرجو من الكاتب الفاضل السيد ابن ادريس ان يتابع بحثه القيم ، وكذلك بلغتنا ردود عن «لذعات» ابن عباد ، وقد تناول ابن عباد شعراء من طبقات مختلفة وبقي له بحث شاعر يجمع الى الثقافة العربية ثقافة غربية وبذلك يكون اتم البرنامج الذي تكفل به في الموضوع ، ففي هذا العدد سننشر احد الردود ثم ننشر بعد رداً بلغنا عن عدد حجة وأيضاً النقد الباقي لابن عباد مع ما يرد من رد ـ ان كان ـ ونقفل هذا الباب تماماً لنشتغل بغيره .

في النقد الادبي

« الاعشاب »

وأود من حضرات اطبائنا المحترمين ـ وحتى المتطببين منهم ـ ان لا يصيخوا باسماعهم لهذه المفاجأة الجريئة ولا يرهفوا آذانهم حين يسمعون لفظة الأعشاب ، فليس لنباتاتهم الطفيلية هنا من محل ! وليس من قصدنا تحليل مفرداتهم الطبية ، وانما هو « الاعشاب » اسم اختاره الشاعر محمود أبو الوفا لديوانه الجديد الذي طلع به علينا في المدة الاخيرة .

ولم نكن لنتعرض لاسم الديوان لو لم يعن الشاعر نفسه في مقدمة الكتاب ببيان فكرته في اختيار هذا العنوان «الاعشاب» كما يقول : « في هذا الكتاب طائفة من الشعر يرتفع الفن في بعضها أكثر منه في البعض الاخر ... » ولعله كان يريد ان يقول : ان ديوانه هذا كمجموعة من الاعشاب ، فيها الجيد الثمين الذي لا يقاس بقيمة وفيها ما دون ذلك مما ينزل احيانا الى حد الكلام المبتذل غير المستساغ ، ولكنه يغطي على ذلك بهذا الاسلوب الادبي فيعترف ان فيه طائفة من الشعر يرتفع الفن في بعضها أكثر من الآخر .

والواقع ان ديوانه هذا سجل لحياته الادبية في حقبة من الدهر ، عرض فيه صوراً فنية رائعة ارتفع فيها الى حد الابداع كما عرض صوراً اخرى فيها اسفاف وفيها ابتذال ، ونحسب ان الشاعر كان يروض نفسه ، وهو متأثر بظروف خاصة على القريض وفي الوقت الذي تكون نفسه عصية عليه جامحة فيراودها ولا يزال يراودها حتى تجود عليه بالقطعة من الشعر وهي على ذلك أبعد ما تكون عن الشعر وتناول الشعر .

ولعله يلوّح الى هذا الذي اشرنا اليه حيث يقول : «... وفيه ما قصدت به الى ترضية الناس ، وفيه ما لم أقصد منه الا وجه الفن وحده ، وكما فيه شعر يستمد روحه من الواقع على سطح هذه الارض كذلك يوجد شعر آخر لا يستمد وحيه الا من معانيه المتصلة بأعمق أعماق الحياة... » فلو أنه قصد الى ترضية الفن ، والفن وحده ، لما وقع في ذلك الابتذال المعيب .

لعل أول ما يفجأك حين تقلب صفحات الديوان هو ذلك الغزل المقيت الذي تفتح به قصائد المدح واشباه المدح والذي نبت عنه الاسماع ومجته الاذواق فلم يعد بها من حاجة اليه ولا هي تستطيع أن تستسيغه مهما أرهفت ومهما كلفها الامر : في عصر تحالل فيه الشعر من هاتيك التقاليد العتيقة التي اخنى عليها الدهر وتحرّر حتى كاد يبلغ الاباحية ، واليك ما يقول في قصيدة قدمت للاستاذ مصطفى عبد الرازق استاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية :

يا قلب ويحك قد أسرفت فاتئد
كم ذا وفيت ، وما جوزيت من أحد
عللتني في غد تسلو ، وفات غد
فما لك ازددت عما كنت ، قبل غد
يا لائمي في الهوى(!) دعني وما خلقت
روحي له،ليس امري في الهوى بيدي!!
رضيت حظي لولا أن من عشقوا
جميعهم وردوا ، ألامي لم أرد
ما بال من جرحت الحاظه كبدي
يأبى يضمدها ، أواه يا كبدي

ثم يتخلص الى مدح الاستاذ عبد الرازق في برودة قاتلة ومن دون أن تكون هناك أية رابطة ، فاستمع اليه يقول بعد الغزل والتشبيب ! :

جعلت جاهك لي يا مصطفى عضدا
انعم به بعد عون الله من عضد !
للطير فيه غناء عن قوادمها
وفيه للاسد ما يغني عن اللبد

وهو على هذا الاسلوب من المدح يبالغ في الاطراء ويغلو في هذه المبالغة الى حد الاغراب ، يقول من قصيدة في تكريم المرحوم امير الشعراء :

إيه شوقي أمن سمائك هذا أم لجبريل ينسب الاملاء
بأبي أنت لو بعثت رسولا لقضي الخلف في الورى والعداء

ولعل مما يوخذ على الشاعر أيضاً حشده للصور الكثيرة المزدحمة في ذهنه ، واستمع الى هذه القطعة :

هـا هما عيناك تغريـــني على شتى الظنون
فيهما بحر وموج وسهول وحزون
ووضوح وغموض واضطراب وسكون

وفي باب الرثاء نجده اشبه ما يكون بشعراء القرن الثالث والرابع فبدل أن يتخذ من جلات الموت ومن جهاد الميت وبطولته عبرة تستفز النفوس وتستثيرها لاسترداد مجدها الضائع ، بدلا من ذلك ياخذ الشاعر في تعداد مناقب ذلك المرثيّ فيقول لنا ـ مثلا ـ في قصيدة « فيصل العظيم » : المليك ـ الحسيب ـ الكريم ـ الوفي ـ الشجاع ، ومن الظلم ان نقتطف منها أبياتاً للاستشهاد ولكننا نؤثر ان يرجع القارئ الى جملتها فيعلم صدق ما قلناه .

وهو بعد ، يثور على قواعد النحو واللغة احياناً ولا يبالي في ذلك ، وهذا عيب كبير اصيب به الشعراء الشرقيون الذين لم يستكملوا حظهم من الثقافة العربية ، وارجع ان شئت الى البيت السابق :

هـا هما عيناك تغريـــني على شتى الظنون

ولست أدري أيصح ان يعود الضمير في تغريني مفرداً

على عيناك المثنى ، ونظن أن الصواب ان يقول : تغريانني
ويقول في قصيدة رثاء فيصل :

فقدت أكرم البنين عليها   واعز الكرام أبّاً وجدا

أبّاً هكذا بشد الباء ، وانا لنسائل الاصمعي وأبا عبيد : أكان العرب يجيزون ألابّ في الاب ؟

وبعد فهذه الماة الفت نظرنا اليها حين مرورنا على الديوان مرا .

ولعله ليس من الانصاف ولا من الاخلاص للادب أن نعرض لنقد الكتاب فنقتصر على احدى الناحيتين من دون أن نشير الى الناحية الاخرى التي يجلى فيها علينا تلك الصور الرائعة ويسمو الى حد الابداع ، واذ ذاك نكون قد وفيناه حقه ووقفنا وسطا ، ولعل الانسان لا يستطيع الا ان يعجب ولا يملك نفسه من الاعجاب بمطلع قصيدته في تكريم شوقي :

هل يهزّ الملائك الاطراء !
ليت شعري وأين منه الثناء؟
طار بي الحب في السماء لعمري
ليس فيها لمثل نجمي ضياء

ولا إخال إلا ان كل من قرأ هذا المطلع المشرق الديباجة - كما يقولون - ستسمو نفسه وتسمو حتى تحلق في اجواء الفضاء وسيجد فيها خفة وطربا ، ثم اسمعه يقول :

كلمات كأنهن نجوم
وقواف كأنهن الماء
بينما هن في الصحائف رسل
فاذا هن في القلوب اداء !

والابداع في البيت الثاني لا حد له ، ويقول :

برهن الشرق انه عاد حيا
حين عادت تكرم الشعراء
واذا ما الشعوب سادت نفوساً
ساد فيها البيان والانشاء
بشر القوم فالحياة شعور
حيثما كان ، كانت الاحياء
خالد الشعر سوف يبقى مرايا
تجتلى في صفائها الاشياء

ويقول حين عودة جلالة الملك فؤاد من رحلته في اوربا «التي كانت أفضل دعاية لرقي مصر والمصريين وتبرئة لسمعتهم عند الاروبيين الذين يعتقد اكثرهم ان المصريين افريقيون يلبسون الجلود » :

قلدت شعبك يابن اسماعيلا
مننا جرت في جنب نيلك نيلا
برّأت سمعته من التهم التي
نسج العدوّ شباكها تضليلا
وجلوت مصر لعين اوربا كما
شاءت وشئت لشعبها تفضيلا
في مظهر ، كجلال تاجك ، دونه
يرتدّ طرف الحاسدين كليلا
ومناعة ، كحمى جنابك ، عندها
يقع الاعز من الخضوع ذليلا
فرفعتها بين الشعوب ، ولم يزل
خلق الملوك على الشعوب دليلا

في هذه القطعة نجد الشاعر يسجل هذه الحادثة الخطيرة التي من ورائها آمال المصريين جميعاً ، في دقة واحكام لا مزيد عليها ويرسل آيات سحره التي تنفذ الى القلوب من غير استيذان ، واستمع اليه ايضاً يقول في قصيدة «الشهيدان »[1]

(1) هما الطياران حجاج ودوس ، وهما أولا طائرين مصريين استشهدا في الجو .

رمتها صلحاً فرامتني خصاما

يا زمان السوء ، بالسوء الى ما ؟

قيل حظٌّ ، قلت : آمنا به

من عتيٍّ جار في الناس احتكاما

ما عليه لو سقانا بالتي

راح يختصّ بها القوم الكراما ؟

أو لم نبن على احسابنا

ونخط المجد آمالاً جساما ؟...

وفي ختام هذه الكلمة نتوجه الى شعرائنا المحترمين ونسائلهم سبب احجامهم عن اخراج دواوينهم التي لاشك انها ستكون ممتعة والتي سيستفيد منها الادب وتغذي عقول الناشئة ونناشدهم رحم الادب ان يستمعوا لصوت الواجب الادبي والوطني فيفتحوا سوق الادب لرواج منتوجاتهم الخصبة ، ونحن نربأ بهم عن الظن بأن السبب في هذا الاحجام هو عدم احتمالهم للنقد الادبي الذي هو في الحقيقة اكبر مشجع لرواج سوق الادب وفي الوقت نفسه الحارس الامين لسوق الادب ان يدخل اليه الزائف من القول ، ولعلهم بعد هذه الذكرى فاعلون ان شاء الله . وانا لمنتظرون...

أبو الطيب

جمعية قدماء الادريسية

عقدت في المدة الاخيرة جمعية قدماء مدرسة مولاي ادريس بفاس اجتماعاً عاماً لانتخاب لجنة ادارية للسنة الجديدة فترأس الجمع الرئيس السيد المهدي المنيعي الذي ذكر قدماء التلامذة بموت سعادة المريشال ليوطي ذلك السياسي الخطير الذي قام بخدمات جليلة نحو المسلمين وترجى السيد المهدي المنيعي من زملائه أن يفكروا دقيقة زمنية لذكرى المريشال ومن بعد وقعت تلاوة التقرير الادبي والتقرير المادي ثم شرع المجلس في انتخاب لجنة ادارية فكانت النتيجة ما يلي : للرياسة السيد محمد الزغاري ، للخلافة السيد المهدي المنيعي بالرغم من طلبه الراحة ، للكتابة العامة السيد محمد جسوس ، للنيابة فيها السيد محمد الجواندي ، لامانة الصندوق السيد الحسن بن جلول ، للمحافظة على الخزانة احمد بناني . (السعادة)

اساء سمعاً فاساء جابة

أشرنا في مقالنا المترجم (ليس بعشك فادرجي) بقولنا : (ولا اخال ابن عباد هذا من آل عمرو ذي الطوق) الى أن الناقد الذي لا يعرف من العربية والنقد الا ما ياكل به خبزه من لحوم الافاضل وأن وقع بابن عباد لا يظهر أنه من آل عباد ملوك اشبيلية فانهم من سلالة عمرو بن عدي بن نصر الذي قال خاله جذيمة الابرش بن مالك ابن فهم الازدي صاحب الزباء وملك الحيرة لاخته رقاش لما طوقته طوقاً من ذهب كبر عمرو عن الطوق هكذا في القاموس ، وفي العباب والامثال لأبي عبيد : والمشهور شبّ عمرو عن الطوق كما في أكثر الامثال ، قال بلدينا النسابة البدوي في منظومته يذكر نسب بني عباد وملكهم في الاندلس وزواله على يد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني :

وآل عباد ملوك الاندلس   من نسل ذي الطوق وغالها الندس
يوسف الاعدل ابن تاشفين   الحميري ثم من لمتون

واليك مورد هذا المثل كما حكاه مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي في قاموسه لاننا لا نترك الفرص لخدمة اللغة لغة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ولسان أهل الجنة قال : (وكبر عمرو عن الطوق يضرب للابس ما هو دون قدره وهو عمرو بن عدي وكان خاله جذيمة جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه منهم عدي وكان جميلاً فعشقته رقاش أخت جذيمة فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبني اليه فسقى عدي جذيمة وألطف له فلما سكر قال له سلني ما أحببت فقال زوجني رقاش أختك فقال قد فعلت فعلمت رقاش أنه سينكر اذا أفاق فقالت للغلام ادخل على أهلك ففعل وأصبح في ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال ما هذا قال أنكحتني أختك البارحة فقال ما فعلت وجعل يضرب وجهه ورأسه وأقبل على رقاش وقال :

حدثيني وأنت غير كذوب   أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد   أم بدون وأنت أهل لدون

قالت زوجتني كفؤاً كريماً من أبناء الملوك فأطرق جذيمة فلما اخبر عدي بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش فأتت بابن سماه جذيمة عمراً وتبناه وأحبه حباً شديداً وكان



لا يولد له فلما ترعرع كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك الكماة فكانوا اذا وجدوا كماة خياراً أكلوها واتوا بالباقي الى الملك وكان عمرو لا يأكل منه ويأتي به كما هو ويقول : «هذا جناي وخياره فيه ، اذ كل جان يده الي فيه » ثم أنه خرج يوماً وعليه حلي وثياب فاستطير ففقد زماناً فضرب في الآفاق فلم يوجد ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج رجلان من بلقين كانا متوجهين الى جذيمة بهدايا فبينما هما بواد في السماوة انتهى اليهما عمرو بن عدي فسألاه من أنت فقال ابن التنوخية فقالا لجارية معهما أطعمينا فأطعمتهما فأشار عمرو اليها ان اطعميني فأطعمته ثم سقتهما فقال عمرو اسقيني فقالت الجارية لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع ثم أنهما حملاه الى جذيمة فعرفه وضمه وقبله وقال لهما حكمكما فسألاه منادمته فلم يزالا نديميه وبعث عمرواً الى امه فأدخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقاً كان له من ذهب فلما رآه جذيمة قال كبر عمرو عن الطوق) قال كاتبه عفا الله عنه تشتمل هذه الرواية على ثلاثة أمثال أولها قول عمرو « هذا جناي وخياره فيه ، اذ كل جان يده الي فيه » وثانيها قول عمرو لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع وثالثها قول جذيمة كبر عمرو عن الطوق وعمرو هذا هو الذي اخذ بثار جذيمة وقتل الزباء وأعانه دهاء وزيره ووزير خاله من قبله قصير ابن سعد لان جذيمة بعد أن خدع ابا الزباء وقتله استدعته بخديعة خطبته لنفسها فقتلته والجزاء من جنس العمل فلم يزل عمرو يتحيل عليها حتى احتل حصنها فقتلها في خبر طويل مملوء بالامثال والزباء لقب بارعة بنت عمرو بن الظرب ملكة الجزيرة وتعد من ملوك الطوائف لقبت به لكثرة شعرها قال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد في المقصورة :

واخترم الوضاح من دون التي ... أملها سيف الحمام المنتضى

يعني بالوضاح جذيمة الابرش ثم قال :

وقد سما عمرو الى أوتاره ... فاحتل منها كل عال المستمى
واستنزل الزباء قسراً وهي من ... عقاب لوح الجو أعلى منتمى

وهذا فصل من الفصول التي زعم الناقد في نقده بمجلة شعبان أنه حضرها في الرباط لما كنا نقرأ مقصورة ابن دريد مع ثلة من أبناء الاعيان في الزاوية التجانية عمرها الله بذكره فان كان ما يقول حقاً فانه لم ينتفع من هذا الفصل والا فكيف فهم من (ولا اخال ابن عباد هذا من آل عمرو ذي الطوق) تلويحاً بالشباب المثقف كما يقول وان عمرهم شب عن الطوق فنحن لم نتعرض لشباب ولا كهول في كتابتنا برمتها وقد نفع الله الكاتب ببعض ما استطاع أن يفهمه من رسالتنا في رد اخطائه وظهر ذلك في قلمه فبدل الذوق العصري بالذوق السليم ولعله ما سمع الذوق السليم قبل وترك كثيراً من الالفاظ المترجمة التي كان يكررها وعلم ان النسيب سنة الشعر في الجاهلية والاسلام واهتدى لحسن التخلص في بديعية الحموي وشرحها وعرف الاقتضاب وكان يجهله بدليل انكاره التخلص ببيت لا صلة له بما قبله وخجل من التحريف في أبيات مكناس فانبرى يحترم بالشريف المؤرخ احتراماً وأطلع على معان لاحل ماكان ليعرفها ولو عاش عمر لبد ولا علينا وقد أوضحنا نكتة الاسناد الى الله تعلى في احلال الشيب بالرءوس واستشهدنا بشعر أبي النجم في الموضوع ان استعصى عليه أن يفهم الجمل العربية نظماً ونثراً ومن لم يقرأ التلخيص بل ولا الجوهر المكنون يعذر واستغفر الله فان الجهل لا يعذر به والعلم لا يكون الا بالتعلم ثم أخذ يتخبط ويتعثر في أحل وأحل وألم يقول هذا ياباه الذوق وهذا تشمئز منه الصناعة ولسان الحال ينادي عليه ذق انك انت الناقد البصير وكذلك يقع للحشو اذا تحكك بالبوازل القرح أما الم فحيث أخذه البوصيري مع سائر النصف الاول من بيت المتنبي

ضيف ألم برأسي غير محتشم ... والسيف أحسن فعلا منه باللمم

فقد تركناه له وان كان الناقد لابد له منه فلا حرج والنظامون كثير ثم ان تعجب فعجب قول هذا المتريب قبل أن يتحصرم والناقد قبل ان يتعلم (فمن منا يلتجئ الى الكتب الى آخره) والقرآن الكريم يقول : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » فهل خرج هو من بطن امه وله مقراض يقرض به الاعراض وهل هذه القشور والسفاسف الا من الكتب والصحائف وقد نبه وانذر بصيغة النائب عن الفاعل لئلا يحرف وليقول اننا استنجدنا هذه المرة بالخلاصة وكان على قلبه طابعاً وفوق بصره غشاوة على انني لا اوصيه بالاخذ عن الكتب والدواوين فان من لا ملكة له ولا فهم اذا خاض تلك اللجج غرق

ومن يخض لجة القاموس ليس له ... فلك من الفهم تنجيه فقد تلفا
والشر صعب عزيز ليس يدركه ... سوى بليغ حديد الفهم قد ثقفا

☘

يظن الغمر ان الكتب تهدي   اخا جهل لادراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها   غوامض حيرت عقل الفهيم

هذا وأما الابيات التي قال انها معروفة من قصيدة لابن أبي ربيعة الذي ما أظن أنه يصحح اسمه ولقبه فليحذفها منها فقد قرأناها على علماء اللغة والرواية في الغرب والشرق بكتاب العقد الفريد لشهاب الدين أحمد بن عبد ربه الاندلسي القرطبي الاندلسي فنسبها لعبد الله بن المبارك فيا ايها الكاتب المتواري ان القديم أكثر حسنات من الحديث وعلمه أصح من علمه واول هذه الامة افضل من آخرها فخذ من الحديث الحسن وذر القبيح ومنه هذه التوقيعات المستعارة بدعوى التواضع وصاحب الدعوة والارشاد لا يختفي فان كنت من اهل العلم فعرف بنفسك ليعرف قدرك ويعتمد ما تكتب والا فلا يمنعنك الحياء ان تتعلم فان الحياء في هذا الباب مذموم ولا تخل الحجاب كثيفاً فاننا الآن نكاد نعرفك فاتق الله في نفسك والا كشفنا عن لبسك وقد رددنا عليك اولا بالعلم وقلنا لك قولا ليناً لعلك تتذكر او تخشى فتعود على نفس سولت لك وامرتك بسوء فتؤنبها فأبيت وها نحن ننتظر ما تكتبه على رثاء شوقي من زيغ وتحريف وهنالك نرجو من الله ان لا يعذبك بعذابه كما نرجو ان يرحمنا وسائر المسلمين برحمته .   محمد البيضاوي الشنجيطي



شخصية مغربية فذة مجهولة في الوسط المغربي

الحسن بن محمد الوزان
Léon l'Africain

«تابع» ٣) مؤلفاته

١) كتاب في وصف افريقيا — يظهر أن مؤلفات الحسن صاحبنا عديدة ومن سوء الحظ لم نتصل الا بكتاب او كتابين منها والآخر لا نعرف إلا اسمه بل ربما ألف مؤلفات قبل أسره أو بعده لا نعرف حتى اسماءها ومع ذلك فكتابه الذي بين أيدينا يرينا ـ كما ذكرت سابقاً ـ صورة صحيحة عن الرجل وبحثه ، هذا الكتاب يسميه « وصف افريقيا » وليس معنى الوصف هنا ذلك الوصف الادبي الذي يطرق غالباً في الرحلات بل معناه الوصف العلمي والدقة العلمية في سائر صفحاته فلقد تناول كثيراً من المسائل فأجاد في البحث والتحليل وخلد مؤلفاً له قيمته الكبرى في عالم الجغرافيا والتاريخ مدى الاجيال وكان المصدر الوحيد عنا في ديار الغرب قبل أن نتصل بالغرب.

والغموض الذي يشمل حياة صاحبنا يشمل حتى مؤلفاته بل حتى كتابه هذا الذي بين أيدينا والذي ترجم الى أهم اللغات الاروبية وله المكانة السامية بين مؤلفات المكتبة الغربية فاننا لا نعرف بأية لغة كتب ولا أي المصادر اعتمد عليها عند تأليفه ولا الداعي له على تأليفه ولا المدة التي استغرقها في تأليفه الى غير ذلك من الاسئلة التي تنير لنا السبيل وتزيل شيئاً من الابهام وغاية ما نعلم أن هذا الكتاب صدرت طبعته باللغة الايطالية في سنة ١٥٥٠ في مجموعة للايطالي Ramusio خاصة بالاسفار البرية والبحرية وترجم الكتاب بعد ذلك الى اللغة اللاتينية ـ وهي لغة العلم

والادب في القرون الوسطى - ثم ترجم الكتاب الى اللغة الافرنسية وبعد ذلك ترجم الى كثير من اللغات الاوربية أما أصله العربي - إن كان له أصل عربي - فقد ضاع ولم يعرف منه شيء وغاية ما يمكننا أن نستنتج في هذه المسألة - تأييداً لفكرة ذهب اليها المستشرق الشهير مسنون - هي أن الحسن جمع خلال أسفاره العديدة مذكرات كتبها بلسانه العربي ثم وضعها في صفة كتاب مضيفاً اليها المعلومات التي حفظت له ذاكرته التي لا ريب أنها كانت ممتازة في الادراك والحفظ فعند تأليفه لهذا الكتاب أو غيره في ايطاليا لم يكن له من المصادر العربية شيء بل اعتمد على مشاهداته وتجاريب اسفاره فكان لكتابه قيمة ممتازة حيث لم يكن كتابه محشواً بنقول من مؤلفات هي لدينا الآن أو عبارة عن نظريات سبقه اليها غيره أما الداعي له على تأليف هذا الكتاب فلعله هو البابا ليون العاشر نظراً للصلة التي كانت متينة والمودة العظيمة بينهما فن المحتمل ان شغف هذا البابا بالعلم دعاه أن يطلب من رفيقه المغربي أن يحدثه عن أحوال بلاده ومشاهداته فأفاض صاحبنا في الحديث والوصف إفاضة دعت البابا أن يطلب منه تأليف كتاب يضم هذه المعلومات ليحتفظ بها في خزانته العظيمة فلبى الطلب وألف هذا الكتاب على أن ليون المغربي لا يتحدث الينا بشيء من هذا مطلقاً وانما هو ظن وتخمين لا أكثر ولا أقل .

قسم ليون المغربي كتابه الى تسعة أقسام الاول في معلومات عامة عن جغرافية افريقيا ومن عناوين هذا القسم مثلا : أصل كلمة افريقيا ، حدود افريقيا ، أقسام افريقيا ، سكان افريقيا وتعريف اسم افريقيا ، أصل الافريقيين ، العرب الساكنون في مدن افريقيا ، وهكذا تابع بحثه بغاية الدقة والتحليل وفي الاقسام السبعة تكلم عن كل ناحية من نواحي البلاد بتفصيل وشرح تامين مبتدئاً بالمدن التي في تلك الناحية ثم بالجبال وفي القسم التاسع تكلم عن المحصولات الارضية وعن الانهار والبحار .

ومن العجيب أنه أول من قسم بلاد المغرب على أقسام : الاول البلاد البربرية أي البلاد الواقعة على شمال سلسلة جبال الاطلس وهي مغربنا والجزائر وتونس ، والثاني بلاد النخيل أو الجريد الواقعة على جنوب الاطلس ، والثالث وهي ليبيا وهي الصحراء ، والرابع بلاد السودان (أي بلاد كناوة) المغربي ، وهذا التقسيم لا زال يستعمل الى اليوم في جغرافية القطر عموماً وهو الذي استنبطه مما يدل على سعة علمه ودراسته العلمية فالانسان عند ما يتابع ما في الكتاب يخيل اليه أنه الف في هذا العصر إذ يرى فيه معلومات يظنها من مستنتجات فكر ابناء القرن العشرين .

فهو اذا ذكر مثلا جسراً نصبه يعقوب المنصور لم يغفل أن يعدد لنا عدد اقواسه ومقاييسها واذا تحدث عن جهة لم يغفل ما فيها من معادن واتربة وكذلك عن عمر الانسان في المغرب فيذكر أنه يتراوح بين ٦٥ و ٧٠ وفي الاطلس حيث الهواء النقي بين ٨٠ و ١٠٠ سنة وهذا يؤيده الاحصاء الحديث تأييداً تاماً ، ويجره الكلام عن الهواء الى الامراض التي يصاب بها المغاربة فيعددها ويذكر أسبابها ومصادرها .

ثم يتطرق الى الحياة الاجتماعيه فيدرك ما للهواء من التأثير في الاخلاق التي يصفها بمنتهى الصراحة حيث يزعم أن الشعب البربري ماهر في التجارة متطير لا يثبت على حال متمسك بالدين كثير الجدال ثم يخصص صفحات عن الملابس التي كانت سائدة في عصره وتغييراتها حسب مختلف الاوقات والمناسبات ثم يفصل الاطعمة التي يتناولها ابناء وطنه وهكذا كان دقيقاً في الناحية الاجتماعية كما كان في غيرها .

وللناحية الادارية ايضاً حظ في كتابه اذا تحدّث عن تقاسيم المغرب السياسية وعن الجهات التي كان بنو الوطاس يسيطرون عليها وعن المدن المستقلة في اداراتها والقبائل التي لم تكن تعترف بادارة وملك الوطاسيين نظراً لضعفهم واضطراب احوالهم ثم عدد المحاكم في كل ناحية .

وكذلك أفاض إفاضة عجيبة في الطرق التي بالمغرب وأعطى عنها تفصيلاً دقيقاً اذ عدد كل مركز أو مدينة وما يتفرّع عنه من طرق .

والخلاصة أن ليون المغربي لم يترك ناحية الا تحدث عنها بإسهاب ودقة غريبين دلا على مقدار ملاحظته وسعة نظره ولعلنا اذا استرسلنا نعدد ونوضح ما يحتوي عليه الكتاب سوف يطول بنا الحديث ونخرج من حدود الكتابة عن المؤلف الى استغراق تفاصيله فالذي ذكرت قد يعطي صورة عن مجهود الرجل ويستطيع المرء أن يقيس عنه صوراً عدة مما في الكتاب من ابحاث هي جديرة بالظهور والبروز في وسطنا فليطلع ابناء الجيل الحاضر على ما خطه عالم من علمائهم في عصر من عصورهم المجيدة .

قد ذكرت آنفاً أن مؤلف الحسن هذا كان المصدر الوحيد عنا في ديار الغرب وقد ذكر المستشرق مسينون اشهر الاشخاص الذين كان مؤلف ليون مصدرهم في ابحاثهم عن بلاد افريقيا عموماً والمغرب خصوصاً فاذا هم يزيدون عن الثلاثين كان أولهم في القرن السادس عشر وآخرهم في سنة ١٨٥٣ ولكي ندرك حقيقة أهمية هذا المؤلف في الغرب لنفتح أي كتاب عن المغرب الف في الغرب فاننا سنجد اسم صاحبنا في صدر قائمة المصادر التي اعتمد عليها صاحب الكتاب في بحثه .

٢) مؤلفاته الاخرى — فمن سوء حظ الثقافة والعلم اذاً أن لا نتصل الا بمؤلف واحد لهذا الرجل الواسع النظر ولا نعرف من مؤلفاته الاخرى الا أسماءها فلو اتيح لنا أن نجد تلك المؤلفات ونهتم بدرسها لاتصلنا اتصالا قوياً بحياة العصر المريني العلمية والفكرية فمن يدري فلعل في بعض المكاتب المغربية مخطوطات من هذا القبيل سيكون إبرازها بواسطه المطبعة حدثاً يغير اراءنا في الماضي ، فمن مؤلفات الحسن التي لم نعرف الا أسماءها قاموس عربي عبراني لاتيني توجد منه نسخة خطية بالاسكريال في اسبانيا وكتاب في النحو وآخر في البلاغة وآخر بالاتينية في تراجم ثلاثين من أشهر رجال الاسلام .

بقي علينا أن نتساءل هل ألف الحسن شيئاً قبل اسره وبعد رجوعه الى تونس فالظاهر أن كل المؤلفات التي ذكرت آنفاً الفت وهو مقيم في ايطاليا فليس من المتصور أن عالماً ممتازاً كصاحبنا يقضي شطراً من عمره في وسطه حيث لغة آبائه وثقافتهم دون أن يؤلف ودون أن يشتغل بالعلم ودراسته ، فاذا كان هناك شيء فاننا لا نعرفه الآن بل اننا لانعرف شيئاً عن صاحبنا الا ومصدرنا الوحيد فيما نعرف هو أقوال المؤلفين الغربيين .

— كلمة ختامية —

لشخصية الحسن هذا مقام كبير في الدوائر العلمية الغربية وكثير من الابحاث والمقالات حررت فيه اذ يعتبر شخصاً له خدمة جلية للثقافة والبحث في عصر لم تكن فيه معلومات الانسان عن العالم الا معلومات سطحية اذن فمن العار أن تجهل مثل هذه الشخصية من وسطنا العربي وفيه تدرجت وثقفت بينما له في الغرب دوي حيث يعتبر ممتازاً في معلوماته وطرق بحثه .

ولعل أقل الواجبات التي ينبغي لنا أن نتقدّم بها نحو رجلنا الممتاز أن نترجم كتابه الى اللغة التي هي أصله الاول فنعيد الى المكتبة المغربية العربية كتاباً من كتبها الضائعة

ونهيئ للقارئ العربي أن يطلع على كتاب يريه بأجلى الصور حياة المغرب منذ أربعة قرون وما كانت تضطرم به من عناصر النور والظلام وما كانت تموج به من حق وظلام فهل من شبابنا من يقوم بهذا الواجب ؟

سعيد حجي

التاريخ

من أهمّ الأمور التي حدت الانسان الى النهوض ودفعته في طريق الحضارة وجعلته يأتي بالمعجزات من تسخير قوى الطبيعة واختراع آلات عجيبة سهلت عليه مصاعب الحياة وخففت من متاعبه الجسمانية ، وان كانت زادت في شقائه النفساني ، من أهم هذه الامور - إن لم اقل أهمها - التاريخ ، ولا أعني بالتاريخ سرد الاسماء والالقاب والارقام وذكر سنة ولادة الملك فلان ومماته ، أو وصف رايات الآخر وعد عبيده وخدامه ، بل بعث عصر مضى ، تمر مناظره امام القارئ بين سطور الكتاب فيرى ما كان عليه اجداده من العزة والرفعة والجاه والمجد ويبصر عظمة ملكهم ودقة تنظيمهم ويعجب بعدلهم وحسن تدبيرهم فيتيقن ان الخلف لابد أن يرث الكثير من خصال السلف فيمتلئ ثقة بنفسه ، والثقة بالنفس هي في نظري اكبر سبب وأعظم عامل على ترقي الامم ووصول الدول الى أوج الفخار ، وما أخر بعض الشعوب الا فقدانها من بين افراده ، وفي الحقيقة لا فرق بين الزنجي الغليظ الشفتين المؤتزر بأوراق الاشجار وبين المتمدن ذي القبعة المرتفعة والعصا المذهبة ، الا أن الاول فقد الثقة بنفسه فسكن الى الخمول ورضي بحالته ، أما الثاني فآمن بأنه لم يخلق ليأكل ويشرب وينام فجد واجتهد حتى بلغ العلياء ، فاذا قدر للزنجي أن يستعيد يوماً ما بعض ايمانه بنفسه فأرجوك ان تتيقن ان حاله ستصير غير التي هو عليها الآن وبالعكس اذا دار الدهر دورته فضعف من ثقة ذلك المتمدن فهو لابد واقع في هوة التقهقر والتأخر ، أما القول بان عقلية شعب أحط من عقلية الآخر أو أن الطقس البارد يدعو الى العمل ومن ثم الى التقدم بخلاف الطقس الحار المحبط للهمم فتلك ادعاآت مغرضة بقصد بها محاربة كل اتجاه نحو المجد .

ومنذ قديم الزمن عرف القادة فائدة الثقة بالنفس ، فعملوا على تقويتها بين اعضاء الشعب وقد بحثوا عن وسائل تبلغهم الى مأربهم فلم يجدوا وسيلة أفضل من التاريخ الذي يؤثر في العقول تأثير السحر ، فنمقوه وأسعفوه بخيالهم ومروا على العصور التي كانوا منحطين فيها من دون ان يذكروا عنها ولا كلمة واحدة بل ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك فخلق ملوكاً وممالك وحروباً ووقائع لم توجد ولم تر ضوء الشمس وأطلق لخياله العنان فرفع من شأن هؤلاء الاشخاص وهاته الوقائع ما شاء له فكره وطاوعه بنانه كل ذلك ليدخل في روع افراد امته انهم افضل من غيرهم وأنهم اجدر البشر بالتقدم والتمدن والاستيلاء .

وهاؤم الامة اليونانية لا أظن أحداً يجهل قصصها التي تتعلق بنشأتها : يجد فيها القارئ اموراً لا يقبلها العقل من أنهم شعب الله وإن ملوكهم أبناء الآلهة وأن جيل أولمپ في اثينا افضل بقعة على وجه البسيطة الى كثير من أمثال ذلك - ولقد يقف الانسان امام هاته الاشياء فاغر الفم تعجبا ، وقد يتساءل مستنكراً كيف سكت العلماء والمؤرخون اليونانيون على هاته الترهات ، ألتبست الحقيقة ؟ أم كانوا بلهاء الى درجة تصديق هذه الخرافات ؟ لا ، لم يكونوا كذلك ، وانما تعاموا عن هذه الامور

لعلمهم بما لها من فضل في استنهاض الهمم والتشجيع على المضي في طريق العلى .

والى الآن لازال الساسة يستعملون هاته الوسائل لاشعال نار الحماسة في النفوس ، ففكرة ان الجرمانيين هم صفوة البشر ليست مجهولة ، وقد اخبرت الصحف أخيراً ان الاتراك الكماليين ازمعوا على إعادة تاليف التاريخ من جديد ليزيلوا منه ما لا يوافقهم ويدخلوا فيه تحسينات جديدة !! وهذه حال اكثر الدول لم تكتف بتاريخها الحقيقي فهي تتسابق لتبوء قمة المجد التاريخي ولو ذهبت الحقيقة ضحية لهذا الغرض ، والحيل المستعملة لنشر المعلومات التاريخية – سواء منها الحقيقية أو المختلقة – لا تقع تحت حصر فالسينمات تعرض على الانظار وقائع تحي الامل في النفوس والجارس يرسل على موجات الاثير محاضرات تاريخية يجتمع لسماعها الابن وأبوه فيفسر الثاني للاول ما قد يخفى عليه ، والمدارس والكليات والمعاهد والمجامع لا تدع فرصة تمر من دون ان تستغلها في احياء ذكرى قائد مخلص أو عالم جليل ، والصحف اليومية والاسبوعية منها والشهرية تخصص صفحات كثيرة من اعدادها للابحاث التاريخية وتعمل على ان تنشرها في اسلوب قصصي يستهوي القارئ ويغريه بالمطالعة .

أما نحن المغاربة فلا أظننا فرطنا في شيء تفريطنا في تاريخنا ، فالعالم منا الا ما ندر يساوي في معارفه التاريخية الامي الجاهل والشيوخ يستنكرون الاشتغال بالعلوم الدنيوية التي من جملتها التاريخ ، والطلبة صعب عليهم تفهم تاريخهم لما في كتبه من الغموض وعدم الترتيب ، ووجدوا بجانبهم تواريخ قراءتها ممتعة لذيذة فلا عجب ان هجروا تاريخهم وأخذوا يردون من مناهل غريبة عنهم فصاروا يعرفون من امور بلاد لا صلة بينها وبينهم اضعاف ما يعرفون عن وطنهم ، والادهى من هذا كله ان نرى بعض الاجانب يدرسون تاريخنا فيقلبون الحقائق و يتحاملون و يذمون ولا مجادل ولا مدافع ، كأن هذه الحملات لا تمسنا بسوء ولا تصيب من المغربي موضع العزة ، اننا بهجرنا لتاريخنا نقطع اكبر حبل يصلنا بماضينا المجيد ، والشعب يحي بماضيه اكثر مما يحي بحاضره ، فالماضي كالاصل من الشجرة اذا احتفظنا عليه أمكن ان تنبت أوراق جديدة وغصون مكان المتساقطة ، ان حاضرنا كهذه الاوراق وهاته الغصون المتساقطة فاذا تعهدنا الاصل الذي هو الماضي بأحيائه في النفوس والنصح بالتشبث به فالمستقبل سيكون زاهراً وسيقوم المغرب من كبوته ويستيقظ من سباته قوياً مؤملا الخير في شبابه ، أما اذا تهاون – لاقدر الله – اساتذتنا وادباؤنا في اقتلاع اليأس من النفوس واشعال ضوء الامل فيها – وذلك يكون بواسطة التاريخ – فلا تنتظر غير خمول على خمول وتأخر على تأخر .

لننظر في حالة الدول ولنقتد بهم في اهتمامهم بتاريخهم ! ان الفرد منهم من يوم يشم الهواء لأول مرة الى أن يلفظ آخر نفس من انفاسه يجد في كل دور من ادوار حياته مرشداً يدله على مفاخر قومه ، فهو حين يكون في المهد صبياً يسمع امه الحنون تترنم بأغنيات تاريخية تمجد فيها الابطال وتتمنى على الله ان يكون فلذة كبدها مثلهم ، واذا ترعرع ودخل المدرسة كان التاريخ في أول المواد التي سيدرسها ، فاذا شب وجد في الصحف تراجم شخصيات تاريخية تكون له المثل الاعلى في حياته يسعى للاقتداء بها ، وهكذا يسير ، يشجعه على العمل والاجتهاد ما يلقاه الذين تعبوا في سبيل بلادهم من التكريم والمحبة والخلود عند اممهم .

تأمل هاته الحالة وقارن بينها وبين نشأة المغربي التي

لا أظنني في حاجة الى وصفها لك فأنت بها عليم خبير ـ تعثر على السبب الذي جعلنا نتأخر حين تقدّم الناس ونكتفي بالوقوف آخر الصف منتظرين نزول قوة من السماء تصعد بنا الى السماك من دون ان نتعب أو نخاطر، ان المغربي ليست له اليوم مطامح ولا ثقة بنفسه ، ولكن اذا توصل ادباؤنا وكتابنا وشعراؤنا الى إحياء عاطفة الطموح فيه فسيكون منه العجب العجاب ، اذ اعتقد أن الشعب المغربي من أرقى الشعوب واذكاها ولا يحتاج الا الى مدة قصيرة يغير فيها رأيه في نفسه ليسير بخطى واسعة نحو المرتبة الجديرة به ـ ولا سبيل للتأثير عليه الا بعرض مجده الاثيل أمامه وتذكيره بما كان له من الفخار في سالف الازمان ، فعسى أن ينتبه ادباؤنا الى هاته الناحية ويعطوا اهمية كبيرة لتاريخنا ، وهم ليسوا مطالبين بزيادة في التاريخ أو قلب للحقائق ، فالتاريخ المغربي ـ والحمد لله ـ مشرف غاية الشرف ولا تعوزه الا عقول ذكية وعواطف شاعرية وأقلام بليغة تدرك مفاخره وتمجد ابطاله وتقرب مكنونه الى الافهام ـ وقد توفرت هذه الشروط في بعض ادبائنا الكبار الذين يعقد عليهم المغرب آمالاً واسعة وينتظر منهم أعمالاً مجيدة فإلى هؤلاء بالخصوص والى الادباء عامة أوجه نداء حاراً أرجوهم ـ بما يكنون من المحبة لبلادهم ـ ان يطرقوا مواضيع تاريخية قومية مغربية وان يقصدوا في اسلوبهم البساطة والوضوح ليستفيد منهم الطلبة ، وليتيقنوا انهم يخدمون بذلك وطنهم خدمة كبيرة وسيرون ـ ان هم اقدموا ـ نتيجه كتاباتهم في أقرب مدة .

فإلى العمل والمجد للمغرب .

محمد ملين



حول نهضة المرأة

نزعة الى التطور

المرأة المغربية

عذبة تلك الاغاني التي سمعتها وأنا مار بإحدى أزقة فاس ، أغاني كانت تنبعث من أفواه فتيات صغار كن يرسلنها عفواً في غير مشقة ولا عناء منغمة سائغة قد زادها عذوبة ولذة نبرة صوتهن الطفلي ، ولست أعرف شيئاً أحسن وقعاً على السمع من لثغة الاطفال ولا أبعث للنشاط من الاستماع لحديثهم ، كن يرسلن هذه الاغاني بالفرنسية وهن راجعات من احدى المدارس التي أسستها الحكومة لتعليم البنات ، وقد دقت الثانية عشرة فكن يسرعن الى منازلهن ليتناولن الغذاء ولكن شهوتهن لم تصرفهن عن الاسترسال في الغناء فبعثت طرفي وقلبي إثرهن ولكني ما لبثت أن جعلت أمشي وراءهن حين أخذن يختفين عن بصري .

أراني اليوم عاجزاً كل العجز عن تصوير ما تركن في نفسي من أثر ، شعرت حين غبن عني بسرور لا يعدله سرور واغتباط ليس الى تكييفه من سبيل فها أنا أذكر الآن نظراتهن الغريرة وقد شخصن ببصرهن الي ينظرن الى شخص أوقفته ألحانهن اللذيذة فجعل يبتسم لهن مبتهجاً بابتهاجهن نشطاً بنشاطهن ، وها أنا أذكر ذلك الزي الظريف الذي اتخذنه خاصاً بالمدرسة : أحذية اوروبية تحتوي على أرجلهن الصغار وذراريع تحيط بثيابهن ورؤسهن مكشوفة قد عافت كل ستر فأبانت ظفائرها أو القت شعورها النقية عن سجيتها .

لا زال هذا المنظر مرتسماً على صفحة ضميري ولا

زلت أراهن ينطلقن قواصد بيوتهن وقد توشحت أيديهن وألفت بين قلوبهن رابطة العلم ، ها هن يرسان أغانيهن بالفرنسية لا يفهمن مما يفهن به شيئاً كثيراً ولكنهن مغتبطات بهذه الاغاني يعدنهـا مرة ومرة في غير ضجر ولا ملل .

يالها من نزعة جديدة وميل قوي الى التطور ! أرى فتياتنا راضيات كل الرضى عما يراد بهن من تحسين لا يضقن ذرعاً بهذا الزي الطريف ولا يستنكفن من الخروج عن العادات القديمة والتقاليد العتيقة ! لقد كنت أحسب قبل اليوم أن فتاتنا أشد الفتيات احتفاظاً بالقديم وأقوى تشبثاً بما وضعت لنا الايام من عادات يمجها ذوقنا الحديث وطبائعنا التي يعسر اليوم ارضاؤها بما لدينا من وسائل الارضاء ، ولقد كنت أحسب أيضاً أن الزمان أمات في قلبهـا كل نزعة الى مثل أعلى في الحياة فهاهي تبدي لنا عكس ما كنا نظن وها نحن نراها تنشد ذلك المثل الاعلى الذي أوشكت أن تفقد الشعور بوجوده ، كانت هذه النزعة كما يحدث لبعض خوالج النفس ممعنة في سبات طويل فلما ألقت المدرسة بذورها في نفس فتياتنا أثارت كوامنها وحركت فيها ما كان في حالة الاغفاء ، وهذا ما يجعلني أعتقد أن للمرأة المغربية استعداداً لكل اصلاح يراد بحياتها المادية والعقلية ورغبة قوية في أن يكون لها نصيب في رفع مستوى المغرب وربمـا كانت هذه الرغبة « لا شعورية » (Inconsciente) ولكنها رغبة لها قيمتها ومـا علينا الا أن نتعهدها ونبذل في تنميتها ما في وسعنا من جهود.

ومما يؤيد إيماني باستعداد المرأة المغربية إلى التطور هو ما أراه فيها من ميل شديد الى تغيير ظاهرها ونزعة الى الحياة الجديدة ، فليست هذه النزعة خاصة بفتياتنا اللواتي يختلفن الى المدرسة وليس هذا المثل الأعلى الذي تنشده المرأة المغربية بمحتكر لدى كل فتاة عرفت بعض الكلمات الفرنسية وتلقت دروساً في النسج والتطريز وما الى هذا وانما هي نزعة عمت حتى النساء اللواتي بلغن الثلاثين ، لك أن تذهب يوماً من ايام الربيع الى أي مكان ازدهرت فيه الطبيعة فتفتحت الازهار ولبست الارض رداءها الاخضر وغنت الاطيار بأعذب وأشجى ألحانها لترى نساءنا وقد لبسن أنواناً من الثياب تتفق والفصل الذي نحن فيه ولتراهن ينفقن ساعات طوالاً في التمتع بالحياة ، لك مثلا أن تذهب الى « سيدي حرازم » أو الى أحد المنتزهات العمومية لتتبين مبلغ هذه النزعة والميل الشديد الى إظهار شخصياتهن فهن يحاولن أن يفهمننا أنهن خرجن من الطور الذي كانت تعد فيه المرأة نكرة من النكرات وأن لهن حقوقاً ونصيباً في الحياة ليس الى إنكاره من سبيل ، أقم يوماً من ايام الربيع في « سيدي حرازم » حيث الهواء الطلق وحيث النخيل وصنوف الاشجار وحيث البرك الدفئة وحدثني عما رأيت وسمعت اثناء هذه الاقامة ، لست ترى إلا نساء ورجالاً وولداناً ولست ترى إلا نشاطاً عاما : رجال يسبحون ويكثرون من الصياح والضجيج ونساء في بركتهن الخاصة لا تسمع لهن إلا ضحكا وزغردة ، وهنا وهناك زمر متفرقة منهن تتفيأ ظلال الاشجار وتستمتع بالنسيم العليل.

وكل ما تراه عين العابر إن هو الا اشخاص قد استبدلوا بلباسهم العتيق لباساً ملائماً لروح النزعة التي جعلت تذهب بهم كل مذهب ، فنساؤنا اليوم - وإن بقي بعض الشذوذ - ينكرن انكاراً ارتداء (الحايك) ويابين كل الاباء الا أن يلبسن جلباب الرجال ويحتذين خفافاً اوربية أو خفافاً مغربية دخلها بعض التحسين ، كل هذا وهن يحتفظن ما وسعهن الاحتفاظ بنقابهن .

ألست ترى ان هذا الضرب من الاستمتاع بالحياة

يشبه من بعض الوجوه ما نراه في سائر الخلجان من الاستلام للنور والماء والهواء الطلق ؟

هذا تطور ولا شك ظاهري ولكنه تطور نرجو أن تكون له عاقبة حسنة ويكفينا الآن أن توجد هذه النزعة مستقرة في نفوس نسائنا وأن يكون مظهرها تطوراً ظاهرياً فالتطور الظاهري خطوة نحو التطور الداخلي وميل شديد الى إقامة ما بالنفس من عوج ، ولعل باسكال (Pascal) هو الذي كان يقول حسب من أراد أن يملأ الايمان قلبه أن يعتكف على الصلاة وأن يقوم بجميع الحركات الجسمية التي تستلزمها هذه الصلاة ، وحسب نسائنا اليوم أن يقتدين بالغربيين في نواحي معينة فالزمان كفيل لهن بخير ما عندهم .

ولكن كيف يمكننا أن نتعهد هذه النزعة وكيف نستطيع أن نستغلها حتى نوجد فتاة قادرة على فهم الحياة وعلى أرضاء شبابنا العسير ؟ سؤال سنعرض له فيما بعد .

محمد حنيني

من روائع الماضي

وصية أبي علي بن مسكويه

في نظام السلوك

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ربه وهو آمن في سربه ، معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مراءاة مخلوق ولا استجلاب منفعة ، ولا دفع مضرة ، عاهده على أن يجاهد نفسه ويتفقد امره ، فيعف ويشجع ويحكم ، وعلامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة ، وعلى أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها وهي خمسة عشر باباً : إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات ، والصدق على الكذب في الاقوال ، والخير على الشر في الافعال ، وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ، والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها وأول ذلك ما بينه وبين الله عز وجل ، وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال ، ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك ، والصمت في أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل ، وحفظ الحال التي تحصل في شيء شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال ، والاقدام على كل ما كان صواباً ، والاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره ، وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي ، وترك التواني ، وترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ، وترك الانفعال لهم ، وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان ، وذكر المرض وقت الصحة ، والهم وقت السرور ، والرضا عند الغضب ليقل الطغي والبغي ، وقوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل وصرف البال اليه .

(عن معجم الادباء ص ٩٥ و ٩٩ ج ٢)

***

الاسلام لا يصادم المدنية

الاسلام جاء لعمارة الدنيا — «ولا تنس نصيبك من الدنيا» واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً — كما جاء لعمارة الاخرة — واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً — والاسلام جاء ليدعو الناس كافة — «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» — فهو لا يفرق بين معتنقيه، الكل سواء — «ان أكرمكم عند الله أتقاكم»

والاسلام واسع الاعتقادات سهلها — ان هذا الدين يسر — فهو لا يطلب من معتنقيه الا أن يفردوا الله بالوحدانية وينزهوه عما لا يليق بجلاله من نسبة الوالد والولد — «قل هو الله أحد الله الصمد» — وأن يصدقوا الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من القوانين من عند الله — «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك» اللهم هل بلغت — .

والاسلام لا يقيد معتنقيه بقيود تثقل كواهلهم بل يطلق لهم الحرية في نفوسهم بعد أن يؤدوا حق الله وحق الاهل وحق العباد، وفي أموالهم بعد ان يؤدوا ما فرض الله لاولئك الذين لا يجدون ما ينفقون «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» وكاد الفقر أن يكون كفراً، وعن الفقر نشأت الاشتراكية وحركة عصيان العمال في اوربا، فاتقاء لهذه الفوضوية لهذا أمر مولانا بالزكاة وحض عليها — «وآتوا الزكاة» — الفقراء عيالي والاغنياء وكلاءي (حديث قدسي)، والاسلام وان جاء ببعض القيود فبعد التأمل البسيط يدرك المرء انها لخيره ومن متممات حياته .

كلمة أولى وأتينا بها مريدين أن نعطي صورة صغيرة عن الاسلام وعن ديموقراطيته لقرائنا الاماثل ونورد لمحة تاريخية عن المدنية وتطوراتها فنقول :

أن أول مدنية عرفت على وجه البسيطة مدنية الهنود والمصريين فهم أول من دسر الدساتير وقنن القوانين وخلف البناءات الناطقة بضخامة ملكهم وعظيم مدنيتهم، ثم انقلبت الاحوال وعادة الله في ملكه أن كل شيء قارب الكمال فهو الى النقص مآله وكذلك دولة الهنود والمصريين فانه لما ضخم ملكهم وازدهرت ربوعهم بأنواع العلم والعرفان وقاربوا الكمال جاء النقص وهو زمن التأخر والانهماك فيما يعود على الدولة بالعفاء .

عندئذ جاء اليونان وكانوا متأهلين لأن ياخذوا مدينة الهنود ويحيوا ما اندثر من معالمها فرقت معارفهم وازدهرت بلادهم وكانت منبع العلم والعرفان، ولو لم يكن لهم الا سقراط وأرسطو وأفلاطون وفيثاغوس لكان ذلك كافياً كيف وجميع العلوم التي بين أيدينا كيفما كانت الا ولهؤلاء العظماء ايادٍ بيضاء عليغا فيها، ولكن شاءت مشيئة مولانا عز وجل أن تدخل هذه المدنية في خبر من تقدمها ولا يبقى لها ذكر الا على الصفحات ففشت بينهم الحروب الاهلية بتنافس حكامها وفضت عليهم .

كان اذ ذاك الاسلام يعلو مناره وينتشر بسرعة في جزيرة العرب وما حولها وفي أقصر مدة عرفت في هذا العمل كان العرب قد استولوا على اكثر المعمور وكادوا يملكون الباقي بسيوفهم البواتر بل بايمانهم ويقينهم الصادق لان الرجل منهم كان يخرج لميدان القتال وساحة العمل وهو يترقب أحد شيأين لا غير اما النجاح فيما هو بصدده واما الموت دون نيل مراده وكلا الامرين عنده سواء لأنه يعرف ان من سيخلفه في القيادة أو في الجندية أو

في تسيير دفة الاحكام على منواله سينسبح وعلى مثل نغماته سيوقع ، فهو اذن سينام هادئاً مطمئناً لان مثله كثير .

في اقصر مدة عرفت كان النبي صلى الله عليه وسلم قد هيأ من اولئك البدو الرحل الذين يقنعون من العيش والحياة بالفر وخيام يرحلون بها مرتادين المحلات الخصبة من هؤلاء هيأ الرسول امة العرب التي ضربت في المدنية بسهم وافر وكادت تكون لها السيادة في العالم أجمع لولا ما داخلها من الفتن المدسوسة من أعداء الدين ومات الرسول (ص) ، وترك أمته ولها قانونها الاعظم القرآن ـ تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله ـ فانكب كبار الامة على النظر في آيات الله والتدبر فيها مع الاستنتاج القوي فوجدوه يامرهم بالاجتهاد في العلوم وتحصيلها وينبههم على اخذ المعارف واقتنائها وينهاهم عن التعصب ويامرهم بأخذ العلم من أي شخص لا ينظرون الى الفوارق كيفما كانت وليشدوا الرحلات في طلبه الى أقصى حد .

عندئذ ولّوا وجوههم شطر اليونانيين وصاروا يعملون سائر الوسائل لكسب عطفهم بل في بعض الوقائع كان من شروط الصلح أن يعطى المسلمون خزانة من الخزائن العلمية وهرع الخلفاء الى جمع المترجمين حولهم وانكبت الامة على اقتناء العلم حتى كانت أيام المامون العباسي من أزهى العصور التي عرفها التاريخ ، فدونت العرب العلوم بلسانها وهذبوا ونقحوا واستكشفوا وزادوا ونقصوا وبرعوا براعة جليلة في كثير من العلوم مثل الكيمياء والهندسة والفلك والطب ولسنا بصدد بيان مقدرة العرب في ذلك فكله مستوفى في كتب العرب والافرنج مثل الكاتب العظيم المنصف الجليل جوستان لوبون وأمثاله كثير ، ولكن غرضنا أن نبين أن الاسلام لا يصادم المدنية .

دالت دولة الاسلام ـ وتلك الايام نداولها بين الناس ـ وذلك بترك أهله لقوانينه ، دالت دولت الاسلام وما ذلك منه بل من معتنقيه الذين تنكبوا طريقه وعمت أبصارهم عن الحقيقة وظنوا أن الحق فيما تحدثهم به أنفسهم غير المهذبة ، فبدأت الدول الاروبية ترى الحياة بعد أن كانت في عماية الجهل تتخبط في ظلامه وقامت قومة رجل كان يسلك مفاوز وضل الطريق وخفي عليه فتحير ثم اهتدى ، فاموا وتفرقوا على المعمور العربي ياخذون ما عنده وما هي الا يوم وليلة حتى تألق نجم اوربا وسطع فظهر بصيص العلم وأنوار العرفان وصار يزداد شيئاً فشيئاً الى أن تم ظهوره ، وها هي اليوم لا زال نجمها يسطع وفي كل يوم نسمع عنها ما يدهش .

«يتبع» أبو محمد

نادي

تأسس بالدار البيضاء ناد يجمع نخبة من الفرنسيين والمسلمين ولا علاقة له بالسياسة ، فنشكر الافاضل الذين اسسوا هذا النادي ونتمنى لهم النجاح .

الكتب والنشريات

(Service public ـ المصلحة العامة) ان هذا الكتاب من رجل يرأس مئات آلاف من الفرنسيين تسموا بـ«صلبان النار Croix de Feu» وهم يطمعون في قلب أوضاع الدولة الفرنسية يوماً ، وذلك مما يحمل على قراءته ومن الطبيعي أن نهتم لكل ما يجري بفرنسا من الحركات الفكرية وشتى الحوادث ، وقد قرأنا كتاب الكولونيل دولاروك ـ وهو اسم المؤلف ـ بامعان وترو ، والحق انه جدير بان يعجب الكثير من الناس ككل ما يكتب في معارضة الاوضاع اذا كانت هذه الاوضاع فيها ما ينتقد ويعاب ، وفي الكتاب انتقاد لاذع وجمل ضخمة ونداءات حارة ومطالبة اكيدة بالاصلاح فيها صدق وفيها قوة ، وبعض الاوضاع الفرنسية تفتقر الى تعديل وتجديد ولعل المسلمين التابعين لفرنسا من رعايا وحمايات اكثر الناس تمنياً لذلك ، فانه يوجد من بينهم منذ سنين قلق ينبغي النظر فيه والمبادرة بعلاجه وليس لهذا القلق من سبب سوى ان انظمة قديمة ومساطر اكل الدهر عليها وشرب لا زالت متبعة في بلادهم ، حالة أنها لم تبق صالحة لهذا الوقت وصار من الضروري ان تعوض بغيرها ، وفرنسا قادرة على مسايرة الزمان والتطور مع الحوادث ، فان لها حيوية ومقدرة على التجدد لا ينكرهما الا من يغتر بالظواهر كالكاتب الالماني فريدريش سيبورج وغيره ممن لا يعرف من هذه البلاد الا بعض المناحي فقط .

ويتبادر الى الذهن ان رئيس « صلبان النار » سيمنح القضية الاسلامية حظاً وافراً في كتابه ، فان فرنسا لها مستعمرات وحمايات وقد دخلت بعض هاته البلدان في حياتها الى حد انها صارت لازمة لها لزوم الاجنحة للطير فاذا ما ذهبت الاجنحة فلا يبقى للطير ما تحلق به في الفضاء ، فيمكن لهيتلير الجرماني مثلا ان يكتب ويفكر في دائرة لا تتعدى حدود وطنه ولا تتجاوز افق جنسه وقد ضيق الانكسار على الجرمان المجال وأوقفهم في خطوط محصورة ، وأما الفرنسي فلا يسعه الا ان يرمي بطرفه بعيداً وان يقطع جملة من بحار وجبال وقفار ويقف بجنب امم كثيرة مختلفة العناصر والالسن والعقائد وان يشمل كلها في بحثه .

ولكن يظهر ان الكولونيل دولاروك رغم ثورته على الاوضاع ودعوته الى الاصلاح هو في الحقيقة فرنسي قديم يفكر كان الدنيا لم تتغير والعالم لم يتطور ولم تكن هناك حوادث وقضايا تستلزم تفكيراً غير التفكير العتيق وعملاً غير العمل التقليدي الذي لم يبق له محل في العالم الحاضر ، فرئيس « صلبان النار » يستوحي المدنية « اليونانية ــ اللاتينية » في النهوض ببلاده ولا يرى وسيلة الى ذلك سوى نواميس هاته المدنية ، وسوى « النظام الروماني » وسوى «الكاتوليكية» ــ وهي بالاستنتاج ــ اذ ان الكاتوليكية والمدنية « اليونانية ــ اللاتينية » و« النظام الروماني » شيء واحد.

فكتاب الكولنيل دولاروك يشتمل على ٢٧٢ صفحة ومن بينها اثنتان لا زائد (٤٤ــ٤٥) تتعلقان حسب عبارته بمسائل « ما وراء البحر » ، وفي الصفحتين يلاحظ الكاتب ان الاسلام رجع الى الحياة ويظهر من سياق كلامه انه كثير الاسف من هذا الحدث الجلل ولو كانت الاشياء تجري على هوى المسيو دولاروك لما كان يقع ذلك ، ويردف ملاحظته بتناول جامع باريس ومدرسة غرناطة فينسبها الى « الانسانية الجوفاء » و « بسبب ذلك يستهزأ على النصارى في هاته المعابد التي يتلاقى فيها اعداؤنا »

ان رئيس « صلبان النار » ينظر الى فرنسا في حدود ضيقة وعقلية خاصة ــ لا عالمية ــ وهذا مما يحط بحركة « صلبان النار » ويجعلها حركة ناقصة لا تناسب مقام الدولة التي يريدون خدمتها ومن شأنها فوق ذلك ان تبعد عنها قلوب كثير من اصدقائها ، ومدنية دولاروك وامثاله من برتران وغيره مدنية من لا يعرفون جغرافية ولا تاريخاً وليس لهم في ثقافتهم ومعلوماتهم باعظم الوقائع وأبرز الرجال الخارجين عن منطقة تربيتهم الخاصة مثل ما لهم من اهتمام بأحقر الحوادث التي جرت هذه آلاف من السنين لدى همج «سبارت» الميكروسكيبية أو في جند «اجممنون» التافه .

والمسلمون لا يعادون حضارة وقد وسع دينهم في شتى الاقطار والامم والاجناس التي انتشر فيها أو اتصل بها منذ نشأته الى اليوم مختلف الحضارات وهو مع ذلك الدين الذي يحترم سائر العقائد والديانات الى حد انه يكفر من ينكر غيره من الشرائع وهذا أعلى ما يتصور من السمو في التسامح الذي يشهد له به حتى رهبان النصارى وقال بعضهم ان الاسلام هو الذي علم اوروبا التسامح ، فكيف يمكن لاهله ان يعادوا مدنية ولو كانت مدنية حواجز و«تخوم» في الافكار والزمان ما لم تكن اساس سياسة تتعلق بشئونهم فاذ ذاك يكون لهم الحق في معاداتها ، ولكن آراءهم لا محل لها في مساجدهم التي يعبدون فيها الله الواحد الاحد من غير ان يتدخل احد في صلواتهم فليس عندهم رجال من الدين لهم تصرفات على الارواح ومراكز يسهرون على صيانتها ويستخدمون لذلك المعابد والمنابر على حسب تطورات المجتمع وظروف الزمان ، فانهم اذا دخلوا المسجد يتركون تحت نعالهم كل سفاسف الدنيا وشئونها الفانية ويتصلون بالسماء مباشرة ولا واسطة ولا آمر ولا ناهي من البشر ولا مسيطر على ضمير ولا شيء من مظاهر الحياة من رتب واحزاب .

وهذا هو الشأن في جامع باريس الذي ذكره الكاتب على وجه المثال لانه يقصد المساجد على العموم ، فليس في داخله وبين جدرانه الناصعة البياض سياسة ما واذا كان لابد ان يلصق به البعض صبغة سياسية فلا يمكن ان تكون الا من حيث موقعه بوجوده في عاصمة فرنسا الرحبة الصدر الجميلة الاخلاق ، وهنا لا يسع كل منصف الا الاعتراف بان مسجد باريس نفع سياسة فرنسا نفعاً لا يستهان به ، اذ رأى فيه الجميع عنواناً على تقديرها للاسلام وعلى ما لها من وداد نحو اهله ، ولا أدل على ذلك من الحملات الشعواء التي لا يفتأ طوائف من الشيوعيين وغيرهم من اعداء سياسة الوفاق والثقة بين الطرفين يحملونها على هذا المعهد الجليل منذ تأسيسه الى اليوم ، ولقد فهم كثير من الدول المنفعة التي يجنونها من

جلب قلوب المسلمين اليهم بالعناية بالدين فتأسست في حواضر عديدة باروپا وامريكا وحتى اليابان مساجد ينسى المسلمون في جوها العاطر خمس مرات في اليوم محن الدنيا واطماعها التي لا يالي عليها حساب .

وكثير من الانتقادات على جامع باريس ناشئة عن اغراض لا علاقة لها بالمصالح العمومية ، فهذه مدة كنا قرأنا مقالات من فرنسي يصف فيها المعهد بدار لهو وتسلية ولا حامل له على ذلك سوى خلاف تافه كان وقع له مع احد المستخدمين بالمعهد فلم يحجم الرجل ـ بدعوى خدمة مصالح وطنه ـ عن كتب فصول طويلة رددتها الصحافة ضد هاته المصالح نفسها .

ورأينا آخر يحارب بسائر الوسائل الجامع ايضاً وفي الوقت نفسه يعمل لاثبات نظم خاصة بالافريقيين في باريس من ادارة خاصة لشئونهم وشرطة خاصة لمراقبتهم وحتى مستشفى خاص بمرضاهم ، وهذا غاية ما يمكن في السعي للتفرقة والتمييز حتى في المعالجة كان الامراض لها جنسية خاصة ، والفكرة الباعثة على كل ذلك احداث مصالح يكون من ورائها منصب وذكر في الاوساط فقط وان ادى هذا السعي الى ما أدى من الفصل بين العناصر .

وهذه ايام قامت لاجل منافع مالية كان رئيس المعهد الاسلامي معالي الوزير ابن غبريط يدافع فيها عن حقوق احد عظماء المسلمين جريدة باريسية وفي اقل من لمح البصر صار معهد باريس مركزاً للثورة على فرنسا والوزير ابن غبريط يتهيأ للجهاد ولا نظن انه في استطاعة واحد من اولئك ـ ولا الكولونيل دولاروك ـ ان يعرض ما امكن لابن غبريط من الخدمات لفرنسا وان لم يكن من اهل المدنية اليونانية ـ الرومانية .

ولا ريب في أن رئيس «صلبان النار» لم يجر على اسباب شخصية في كتابته عن مسجد العاصمة الفرنسية اذ أنه كما اشرنا الى ذلك يقصد المساجد كلها عن عقيدة لا غير ، وان هي الا فكرة عقيمة وعلى كل حال فليس لاجلها مات الآلاف من المسلمين في الحرب الكبرى .

(Editions Bernard GRASSET, Paris)

الاعلانات القانونية

ادارة البريد والتلغراف والتلفون

في ١١ يوليو ١٩٣٥ تقع سمسرة عمومية بادارة البريد والتلغراف والتلفون بالرباط لشراء عمد للتلغراف .

ويجب أن تصل طلبات الاسترشاد الى الادارة قبل ١١ جوان .

المطبعة الجديدة نهج المامونية — الرباط — وكيل المجلة : ابو بكر زنيبر



مشترات ورسائل باللغة العربية في (تربية الاطفال الصحية) تعطى مجاناً في

— دار نيسلي —

بملتقى نهجي فيدرين وكولي — بالدار البيضاء